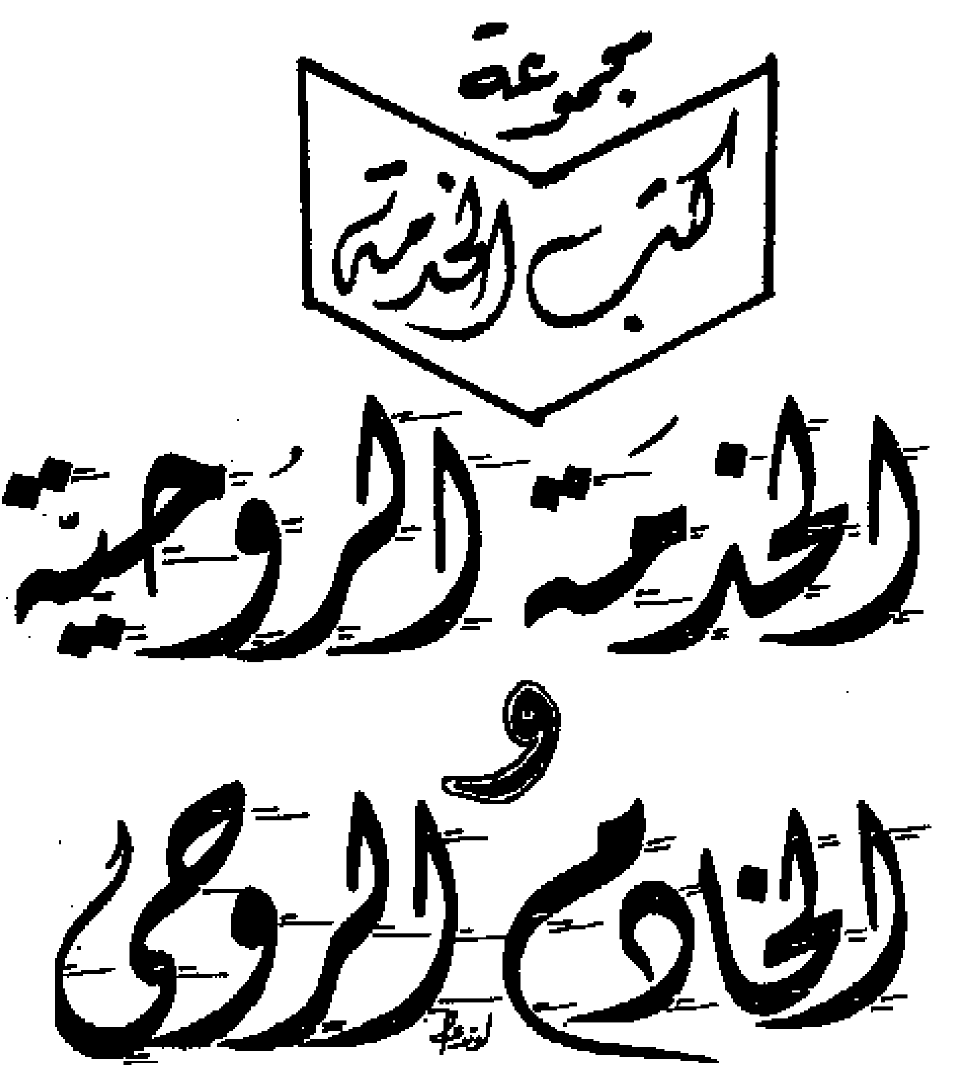
htm



البابا شنوده الثالث

الخدمة الروحية و الخادم الروحي

البابا شنوده الثالث



The Spiritnal Ministry & The Spiritnal Minister

By H.H. Pope Shenouda III

1st. Print	الطبعة الأولى
Nov. 1993	نوفمبر ١٩٩٣
Cairo	القاهرة



حضرة صاحب القداسة والغبطة
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

لاشك أن الخدّام يحتاجون باستمرار إلى محاضرات عن روحانية الخدمة، لئلا يظنوا أن الخدمة هى مجرد تدريس ومعلومات ...

والكتاب الذى بين يديك هو بعض محاضراتٌ ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى بدير الأنبا رويس بالقاهرة فى إجتماعات حضرها الألوف من الخدام وفصول إعداد الخدمة منذ بدأنا هذه الفصول من حوالى ١٦ سنة تقريباً .

وسنوالى نشرها فى الأجزاء المقبلة من هذه السلسلة.

ونحدثك فى هذا الجزء عن الخدمة الروحية ومميزاتها المتعددة، ومركز الله فى الخدمة، والمقاييس الروحية السليمة لنجاح الخدمة، مع ما يقابلها من مقاييس خاطئة .

كما نحدثك عن الخادم الروحى القدوة والبركة، وما يتميز به من

صفات، وكيف أنه دائماً يخدم، بل أن حياته كلها خدمة، ويشعر أن الخدمة ضرورة موضوعة عليه.

وهذا الكتاب هو الكتاب السادس من الكتب التي قدمناها لخدام التربية الكنسية ولفصول إعداد الخدام، سواء ما يخصهم أو ما يتعلق بأطفالهم .

أما الكتب الخمسة السابقة فهي : الغيرة المقدسة، والتلمذة، وكيف نعامل الأطفال، وآيات للحفظ بالأبجدية، ومسابقات في الكتاب المقدس .

ونرجو بمعونة الرب أن نتابع نشر هذه السلسلة من كتب الخدمة، مصلين من أجل نجاح الخدمة في كل مكان .

نوفمبر ١٩٩٣م **البابا شنوده الثالث**

١- ماهى الخدمة روحياً ؟

ليست الخدمة مجرد تدريس أو تعليم ، وإلا كانت عملاً عقلياً بحتاً والخادم ليس هو مجرد مدرس ، ولا مجرد حامل معلومات ينقلها إلى آذان وأذهان تلاميذه ... فماهى الخدمة اذن .

١- الخدمة محبة

إنها محبة تملأ قلب الخادم نحو الله وملكوته ، ونحو الناس وبخاصة الصغار منهم . هو يحب الله ، ويريد أن الجميع يحبونه . وهو يحب الناس ، ويريد أن يوصلهم إلى الله . وتعبيره عن هذه المحبة التى فى قلبه ، هو الخدمة .

فالخدمة هى نتيجة طبيعية لشئ أعظم من الخدمة ، هو المحبة.

إذن الخدمة هى حب فى القلب ، فاض على هيئة خدمة ... هى شهوة فى قلب الخادم ، أن يوصل الناس إلى الله على قدر ما

يستطيع ، وبخاصة الذين اؤتمن على خدمتهم .

وإذا خلت الخدمة من الحب ، تصبح خدمة جافة ، وعملاً روتينياً ، أو عملاً آلياً خالياً من الروح ، وتتحول إلى مجرد تدريس معلومات ، أو إلى مجرد نشاط علمى أو نشاط إجتماعى ....

أما عندما نحب المخدومين كما يحبهم الله ، وعندما نحبهم كما يحبنا الله ... فحينئذ نصل إلى مثالية الخدمة ...

ومادمنا لا نستطيع أن نصل إلى هذه الدرجة من الحب .. فلنحاول أن تمتلئ قلوبنا بالحب نحو المخدومين ، على قدر ما تتسع قلوبنا للحب ... وإذا تأملنا خدمة السيد المسيح ، نجد دعامتها المحبة . فقد قيل عنه إنه " أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى " (يو ١٣ : ١) . وحتى عمل الفداء ، قيل عنه أيضاً " هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو ٣ : ١٦) .

وأنت : لاتستطيع أن تكون ذا تأثير روحى فى إنسان ، إلا إذا كانت هناك محبة بينك وبينه .

وبهذه المحبة، يثق بك ، ويقبل كلامك ، ويفتح لك قلبه ، فتعرف إحتياجاته الروحية. وبكل ذلك يمكنك أن توصله إلى الله وملكوته..

الخادم إذن فى مدارس الأحد ، هو إنسان محب ومحبوب . يحب تلاميذه ، وتلاميذه يحبونه ، ويحب الخدمة ، وتسرى محبتها فى قلبه وفى كل كيانه .

الخادم الذى يحب مخدوميه ، تكون خدمته لهم ممزوجة بالعاطفة :

إذا غاب واحد منهم ، يحزن لغيابه ، لأنه مشتاق إليه ، وقد حُرم منه فى ذلك الأسبوع . وإن حضر فى فصله ٢٨ تلميذا من ثلاثين ، يكون مشتاقاً إلى الأثنين الباقيين . وعندما يفتقد أحد تلاميذه، تظهر عاطفته فى الإفتقاد .

ليست خدمته خدمة رسميات ولا شكليات ، بل محبة للّه وللناس .

وهو فى كل نشاط خدمته ، لا يركز على ذاته ، لكى يبدو أمام نفسه خادماً صالحاً وأميناً فى الخدمة ، وليس خوفاً من محاسبة الله له ، إنما يخدم حباً لمخدوميه .

وعندما يحضر درساً ، يكون كل همه أن يعطى تلاميذه كل ما عنده . لذلك يبحث عن القصص التى يسرون بسماعها . بل ويجمع كل الأفكار النافعة لهم ، وكل المعلومات المشوقة ... لا لكى يكون

الدرس ممتازاً ومثالياً ، وإنما لأن المحبة من طبيعتها إسعاد الآخرين والعمل على منفعتهم ، والتعب والبذل لأجل ذلك .

٢- الخدمة عطاء للكل

الخدمة هى طبيعة عطاء عند الخادم

يفعل ذلك بلا تغصب ، ولا يضغط على إرادته لكى يخدم . بل يفعل ذلك بتلقائية وبحكم طبيعته . مثلما الشمس من طبيعتها أن تعطى حرارة ونوراً ، وتعطى ذلك للكل بلا تمييز . ومثلما الشجرة من طبيعتها أن تعطى ظلاً أو زهراً أو ثمراً ، وللكل .. وأيضاً مثلما الينبوع من طبيعته أ، يعطى ماء ورياً ، وللكل .. هكذا الخادم من طبيعته أن يعطى حباً وتعليماً وإفتقاداً ومواساة ومعونة .. وللكل...

يعطى لكل أحد ، فى كل مناسبة ، وفى كل مكان

فى البيت فى محيط الأسرة ، وفى محيط الدراسة أو العمل ، وفى الكنيسة ، وفى النادى ، وفى كل مكان ... إنه ـ كسيده ـ "يجول يصنع خيراً " (أع ١٠ : ٣٨) ... كل انسان يقابله فى الحياة ، أو كل انسان يلقيه الله فى طريق حياته ، يحاول ـ ولو

بطريق غير مباشر - أن يعمل معه عملاً يقربه إلى الله بالأكثر .

الخدمة إذن هى خير متحرك

هى خير متحرك نحو الناس ، يدفعهم إلى الله ، بكل الطرق : بكلمة منفعة ، أو بركة ، أو معونة . يتحرك بها قلب الخادم نحو سائر القلوب حيثما يلتقى بهم . ذاته ليست ثمينة عنده .. وهو لا يركز عليها ، إنما يبذلها بذلاً لأجل خير الناس ...

٣- الخدمة هى غذاء روحى

غذاء يقدمه الخادم لأرواح مخدوميه ، ليشبعهم بكلمة الله الصالحة .

حسبما قال الرب " ياترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، ليعطيهم طعامهم فى حينه.." (لو١٢: ٤٢).. يعطيهم وجبة دسمة ، من الكتاب والتأملات وسير القديسين ، ومن التراتيل والألحان . بل ومن اللاهوت والعقيدة ... كل ذلك فى أسلوب روحى مبسط محبب للنفس ، ويربطهم بالله وبصفاته الجميلة .. ولعل سائلاً يسأل :

كيف يستطيع الخادم أن يقدم وجبة روحية دسمة لأولاده ، فى

ساعة واحدة كل أسبوع ؟

والجواب : هو أن التأثير الروحى لا يرتكز على طول الوقت ، وإنما على قوة الكلمة ... الكلمة الروحية الصادرة من إنسان روحى، يتكلم روح الله من فمه . أو كلمة الله القوية الفعالة ، التى شبهها الكتاب بسيف ذى حدين (عب٤: ١٢).

إن كلمة واحدة سمعها الأنبا أنطونيوس فى الكنيسة، غيرت حياته كلها، وصارت سبباً فى إيجاد حياة ملائكية فى الكنيسة كلها..

الخدمة لا يعوزها الكلام الكثير ، إنما الكلام الروحى المؤثر...

الكلام الذى يحمل قوة الروح ، القوى فى إقناعه وفى تأثيره ، والذى يدفع إلى التنفيذ . أما الخدمة التى لا تأثير لها ولا روح ، فإنها تشبه بذاراً فقدت أجنتها ... والمطلوب هو الخدمة التى تدخل إلى العمق، وتحرك القلب ، وتعمل عملاً ، وتكون لها قوة دافعة...

٤- الخدمة هى غيرة مقدسة

هى شعلة من النار داخل القلب ، تجعله ملتهباً بمحبة الناس ، والسعى إلى خلاصهم . بحيث لا يهدأ إلا إذا استطاع توصيلهم إلى الله. وكما قال المرتل فى المزمور " غيرة بيتك أكلتنى". وكما قال

القديس بولس الرسول "من يعثر وأنا لا ألتهب؟!" (٢كو ١١ : ٢٩).

فالذى يحب الناس ، وتملكه الغيرة لأجل خلاص نفوسهم ، لا تتقيد خدمته بمجموعة معينة ، بل يحب الكل ، ويخدم الكل ... ويضع أمامه قول الرسول " صرت للكل كل شئ ، لأخلص على كل حال قوماً " (١كو ٩: ٢٢) .

الراعى الصالح (يو ١٠ : ١١،١٤) . وهو الذى قال " أنا أرعى غنمى واربضها ... وأطلب الضال ، واسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح " (حز ٣٤ : ١٥،١٦) . وعنه قال داود النبى " الرب لى راعٍ ، فلا يعوزنى شئ " (مز ٢٣) .

وإنه تنازل من الله أن يشركنا معه فى العمل وفى الأهتمام بأولاده .

إنه قادر أن يقوم وحده بعمل الرعاية والأهتمام . ولكنه من فرط تواضعه منحنا أن نعمل معه فى هذا المجال ، تبارك اسمه ... وأستطاع بذلك القديس بولس الرسول أن يقول عن نفسه وعن زميله ابللوس : " نحن عاملان مع الله " (١كو ٣ : ٩) .

ومن هنا كانت الخدمة هى شركة مع الروح القدس

الروح القدس هو الذى يعمل لبناء الملكوت، ونحن مجرد آلات

فى يديه. يعمل فينا، ويعمل بنا، ويعمل معنا. يعطى كلمة للمتكلمين، ويعطى تأثير للسامعين . وما الخادم سوى أداة فى يد الروح ... أما إذا كانت الخدمة مجرد عمل بشرى ، لإنها باطلة بلا نفع ..

لذلك نقول عن العظة : نسمع كلمة الرب من فم (فلان) ...

لأنه حسب قول الرب " لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (مت ١٠ : ٢٠) . ولذلك ما أجمل ما قيل عن كل رسالة من الرسائل المقدمة إلى الكنائس السبع التى فى آسيا " من له أذنان للسمع فليسمع مايقوله الروح للكنائس " (رؤ ٢ : ٣) .

ونحن نفرح بعبارة " مايقوله الروح " .. إنها تعطى معنى للخدمة هو :

٥- الخدمة هى جسر بين الله والناس

ليتك تكون جسراً صالحاً فى خدمتك ، توصل ما يقوله الروح .. الخدمة هى جسر يوصل الناس بالله ، أو جسر تنتقل عليه عطايا الله إلى الناس .. فالخادم الروحى هو الذى يأخذ من الله ليعطى تلاميذه . لا يعطى من ذاته . لأن الرب أمر أن لا تقدم على المذبح نار غريبة ، بل النار المقدسة التى نزلت من عند الله .

الخدمة تشبه بسلم يعقوب الواصل بين السماء والأرض

هذا الذى قيل عنه إن ملائكة الله صاعدة ونازلة عليه (تك٢٨: ١٢) صاعدة بطلبات الناس ، ونازلة بالأستجابة من عند الله ... ألم يقل الرب " أسألوا تعطوا " (مت ٧ : ٧) . هنا الخدّام فى خدمتهم كملائكة الله فى السماء .. يرفعون صلواتهم إلى السماء ، لكى يعطيهم الله كلمة عند إفتتاح أفواههم " (أف ٦ : ١٩) .

ومن سلم يعقوب تنزل إليهم الكلمة التى يقولونها لأولادهم وتلاميذه ... وهم فى ذلك يتشبهون بالملائكة .

٦- فالخدمة هى عمل الملائكة والرسل

هكذا قال القديس بولس الرسول عن الملائكة : " أليسوا جميعاً أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب ١: ١٤) . وقال عن نفسه وعن سائر الرسل إن الرب " أعطانا خدمة المصالحة .. اذن نسعى كسفراء للمسيح ، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح " تصالحوا مع الله " (٢كو٥: ١٨، ٢٠).

٧- الخدمة هي دين علينا

الخدمة هى جزء من الدين الكبير الذى علينا من نحو الكنيسة التى ربتنا وعلمتنا ، وأرشدتنا إلى طريق الله ، وأعطتنا روح الخدمة . وعلينا أن نخدمها كما خدمتنا .

بل أن الخدمة دين علينا نحو الله نفسه ، الذى أحبنا كل الحب، ومنحنا أن نعرفه ، وعلمنا طرقه . وعلينا أن نحبه بالمثل ، ونظهر هذا الحب من نحو أولاده الذين تركهم وديعة فى أيدينا . ولذلك نخرج بنتيجة هامة وهى أن :

٨- الخدمة واجب

إنها واجب روحى على كل انسان .

كل انسان يحب الله ويحب الناس ، لابد أن يخدم . إنه لا يستطيع أن يرى أناساً يهلكون أمامه ، بينما يقف صامتاً مكتوف اليدين . كذلك الذى أختبر محبة الله له ، يجد دافعاً داخلياً يدفعه إلى الحديث عن محبة الله ...

المرأة السامرية لما عرفت المسيح ، ذهبت مباشرة لتخبر الناس وتحدثهم عنه قائلة " تعالوا وأنظروا " (يو ٤ : ٢٩) .

فتحولت ليس فقط من خاطئة إلى تائبة ، بل بالأكثر إلى انسانة كارزة ، تحب المسيح ، وتحدث الناس عنه ... وحدث مثل هذا الأمر مع كثيرين من الذين شفاهم المسيح ، فجالوا في كل مكان يتحدثون عنه ...

كل أنسان أذن يمكنه ان يخدم ، ولكن حسب تنوع المواهب

هناك من يخدم في مجال الفقراء وعمل الرحمة ، وآخر يخدم المرضى ، وثالث يخدم في حل مشاكل الناس ، ورابع يخدم في مجال التعليم ، إن أذنت له الكنيسة بذلك وخامس يخدم عن طريق القدوة الصالحة ...

أما الذى لا يخدم ، فهو انسان مقصر في واجب مفروض عليه في حدود امكانياته . هو مقصر في حق أخوته ... فإن قصرت في الخدمة أو امتنعت عنها ، ينبغي أن تعترف بذلك أمام أبيك الروحي. لأن تقصيرك في الخدمة ، يدل على أن محبتك غير كاملة نحو الآخرين ونحو الله وملكوته وأولاده ...

٩- الخدمة أمانة ووزنة ومسئولية

إن الأولاد الذين تركهم الله أمانه فى أعناقنا ، فسوف يسألنا عنهم واحداً فواحداً : ماذا فعلنا فى بنيانهم الروحى . الخدمة إذن مسئولية أمام الله والكنيسة ومسئولية خطيرة ... وفى خطورتها أقول الآتى اعلموا أن الخادم منكم ، **ربما يكون المصدر الوحيد لتعليم الدين فى هذه الفترة من حياة تلاميذه .**

ربما لا يجدون فى البيت ولا فى المدرسة ولا فى المجتمع مصدراً آخر يغذيهم روحياً . وكذلك الكنيسة تركت هذه المسئولية إليكم ، لتقوموا بها ، واعتمدت عليكم فى ذلك ...

فإن لم يجد الأولاد الغذاء الروحى فى الكنيسة على أيدى خدامها، فقد تضيع حياتهم بسبب إهمال الخدام !! إذن مصير الحياة لهذا النشئ لهذا الجيل الصاعد تتوقف على مدى أمانة الخدام : هل سيشعلون قلوبهم بمحبة الله ، ويملأون عقولهم بالمعرفة الدينية السليمة ، أم سيخرجونهم فارغين ، تقف أرواحهم إلى الله من الفراغ الذى عاشوه ، لأن مدرسيهم فى التربية الكنسية لم يهتموا بهم ..

ترى هل سيقول الله للخادم " نفس تؤخذ عوضاً عن نفس ".

وذلك حين يحاسب الخادم قائلاً له " أعطني حساب وكالتك " (لو١٦: ٢٠) . قفوا إذن بخوف أمام الله . وتذكروا بإستمرار أن الخدمة ليست مجرد نشاط ، إنما هى مسئولية . هى وزنة لابد أن نقدمها لله بربحها (مت ٢٥) .

١٠- الخدمة هى قدوة وتسليم

الخدمة هى تسليم ، أكثر من التعليم

هى تسليم الحياة لآخرين، تسليم الصورة الإلهية لهم، تسليم النموذج الحى. فالخادم هنا، هو وسيلة إيضاح للحياة الروحية السليمة بكل فضائلها ...

الخدمة إذن هى المدرس ، قبل أن تكون الدرس .

هى حياة تنتقل من شخص إلى آخر ، أو إلى آخرين

هى حالة انسان ذاق حلاوة الرب ، ويذيقه لآخرين قائلاً " ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب " (مز٣٤ : ٨) .. أنها حياة تسرى من روح كبيرة إلى أرواح أخرى . أو هى حياة إنسان إمتلاء بالروح القدس، ففاض من أمتلائه على غيره ..

ليس الأولاد محتاجين كثيراً إلى مدرس يملأ عقولهم كلاماً ويحشوها أفكاراً ، بل هم يحتاجون إلى قلب نقى ملتصق بالله ، يوصلهم إلى الله ويشفع فيهم عنده .

هم محتاجون إلى قدوة يحاكونها ، ويرون فيها المسيحية الحقة المُنفذة عملياً .

وربما يكون هناك مدرس فى مدارس الأحد ، ليس فصيحاً كما يجب، ومعلوماته ليست كثيرة ، ولكنه يؤثر كثيراً فى الأولاد . مجرد منظره يغرس فيهم محبة الله، طريقة كلامه ، طريقة معاملاته ، أسلوبه الروحى ، ملامحه الوديعة الهادئة البشوشة ، كل ذلك يعلمهم عن الدين أكثر من الدروس .

هم يرون صورة الله فيه . فيحبون الله الذى يعمل فى حياته.

ويحبون أن يصيروا مثله ، وأن تكون حياتهم كحياته ...

إن الأولاد يحبون التقليد ، فكونوا نماذج صالحة أمامهم وأعلموا أن روحياتهم أكبر من روحياتكم ، وقلوبهم أكثر صفاء ، ومبادؤهم أسمى . هم صفحات بيضاء فى فترة طفولتهم ، لم يكتب فيها العالم بعد شيئاً رديئاً . يحتاجون إلى مستوى عالٍ لكى ينفعهم .

والسيد المسيح حينما قال : " إن لم ترجعوا وتصيروا مثل

الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات " (مت ١٨: ٣) لم يقصد : إن لم تصغروا وتصيروا مثل الأطفال ، وإنما إن لم تكبروا (في براءتكم) وتصيروا مثل الأطفال ..

فإن لم تكونوا قدوة لهم ، فعلى الأقل لاتكونوا عثرة.

هم - ببساطتهم - يقبلون كل ما يصدر منكم ، ويصدقون ما تقولونه لهم . فليكن كلامكم هو الحق والبر الذى ينتظرون معرفته ويتوقعون أنكم تنفذونه . أما عن العثرة - فى التعليم أو الحياة - فقد قال عنها الرب " من أعثر أحد هؤلاء الصغار ... فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ، ويلقى فى البحر .. " (مت ١٨: ٦) .

وبسبب القدوة الصالحة ، يوجد ما يسمى بالخدمة الصامتة

التى يقدم فيها الانسان تعليماً حتى دون أن يتكلم . يتعلم الناس من حياته دون أن يعظ . بل هو نفسه العظة ..

أما الذى لايقدم عظة بحياته ، فكلامه عن الخدمة باطل ، ولا يأتى بثمر .. إنه مجرد صنج يرن .

١١- الخدمة هى امتلاء وفيض

إنها حياة وليست كلاماً. ليست مجرد معرفة ننقلها إلى الناس.

بل الكلام الذى فيها، ينبغى أن يتحول إلى حياة. كما قال السيد المسيح له المجد " الكلام الذى أقوله لكم هو روح وحياة " (يو٦: ٦٣). فهل كلامك فى خدمتك فيه حياة تتسبب فى حياة الآخرين؟ أنظر ماذا يقول الرب : " جئت لتكون لهم حياة ، ويكون لهم أفضل" (يو١٠ : ١٠) .

فهل ثمرة خدمتك هى تغيير حياة سامعيك إلى أفضل ؟

هل أنت فى خدمتك تعطى الآخرين حياة ؟ أو تفيض عليهم من حياتك ؟

أم ينطبق عليك المثل القائل " فاقد الشئ لا يعطيه ؟!

أذن لابد أن تكون لك أولاً حياة وشركة مع المسيح وخبرة سابقة بالحياة الروحية لكى تستطيع أن تقدم الله إلى الناس .. وهناك مثل معروف فى مجال الخدمة وهو " لا يفيض إلا الذى أمتلأ .. "

١٢- إذن الخدمة هى امتلاء وفيض

إن الناقص لا يمكنه أن يفيض . بل يمتلئ أولاً ثم يفيض على غيره . أنظروا إلى الأثنى عشر رسولاً كمثال وكيف أعدهم السيد المسيح للخدمة : لقد قضوا مع السيد الرب أكثر من ثلاث سنوات

يمتصون الحياة منه .. من المعلم الصالح ، أكبر وأعمق معلم عرفته الأرض ، يأخذون دروساً من قدوته ، من تعاليمه النقية الخالصة ، ومن تطبيقاته العملية ، مع وسائل إيضاح عجيبة ، تتمثل فى الآيات والعجائب ، وفى طريقة المسيح فى الخدمة .

وكانت الدروس كل يوم وكل ساعة ، إذ كانوا يعيشون مع المسيح بإستمرار ومع كل هذا قال لهم " لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعالى " (لو ٢٤: ٤٩) " ولكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم . وحينئذ تكونون لى شهوداً " (أع١: ٨) .. ولما حلّ الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين ، بدأوا خدمتهم بهذا الأمتلاء ، ففاضوا من روحهم على المسكونه كلها ...

بل كان الامتلاء من الروح القدس شرطاً لأختيار الشمامسة السبعة (أع ٦ : ٣) .

وأنتم أيها الأحباء : هل أمتلأتم من الروح القدس ، حتى يقيمكم الرب على خدمة أولاده ؟ ولعلكم تسألون : ما مقياس هذا الأمتلاء؟ على الأقل هو ظهور ثمار الروح فى حياتكم (غل ٥: ٢٢،٢٣) ولا أجسر أن أقول مواهب الروح ، فهى مستوى عالٍ ربما ليس لكل أحد ...

أنتم تدرّسون أطفالاً . والطفل فـي سن يتميز بأنـه يلتقط الحيـاة ويقلد .. وربما ينسى الأولاد كلامكم . ولكنهم لا ينسـون حيـاتكم . فهل أنتم ينبوع حياة لهم ؟ أم بلا تأثير ؟ أم ينبوع عثره ؟ حاشا ...

١٣- الخدمة حياة تنتقل من إنسان إلى آخر

ليس فقط في مجال القدوة والتسليم.. بل أمامي مثال عجيب ورد في الكتاب المقدس عن خدمة السبعين شيخاً الذين ساعدوا موسـى النبى فى الخدمة . قال الرب لموسى " إجمع إلىّ سبعين رجـلاً من شيوخ إسرائيل.. وأقبل بهم إلى خيمة الإجتماع.. فأنزل أنـا وأتكلم معك هناك. وآخذ من الروح الذى عليك وأضـع عليهم، فيحملون معك ثقل الشعب" (عد١١: ١٦، ١٧).. صدقوني، كم وقفت متعجباً، وأتأمل هذه الآية : آخذ من الروح الذى عليك ، وأضع عليهم ...!!

١٤- الخدمة هى قوة فعّالة

هى قوة الروح العامل فى الخادم وفى المخدومين

هى قوة كلمة الله التى لا ترجع فارغة (أش ٥٥: ١١) ، كقـوة

الحياة التى فى البذرة : تلقيها فى الأرض ، فلا تكف عن العمل والنمو ، حتى تعطيك ثمراً ثلاثين وستين ومائة (مت ١٣ : ٨) .

١٥- الخدمة روح وليست رسميات

يظن البعض أن الخدمة هى مجرد الشكل الخارجى : دفتر تحضير منظم ، تتميم على الأولاد ، إفتقاد ، تحفيظ ... وينتهى الأمر عند هذا الحد ... بينما هى روح قبل كل شئ ...

هى روح الخادم التى يمتصها الأولاد منه . هى الروح التى يلقى بها الدرس ، والروح التى يتعامل بها مع الأولاد .

هى قلب الخادم قبل لسانه ..

هى حرارته القلبية ، قبل وسائله التربوية .

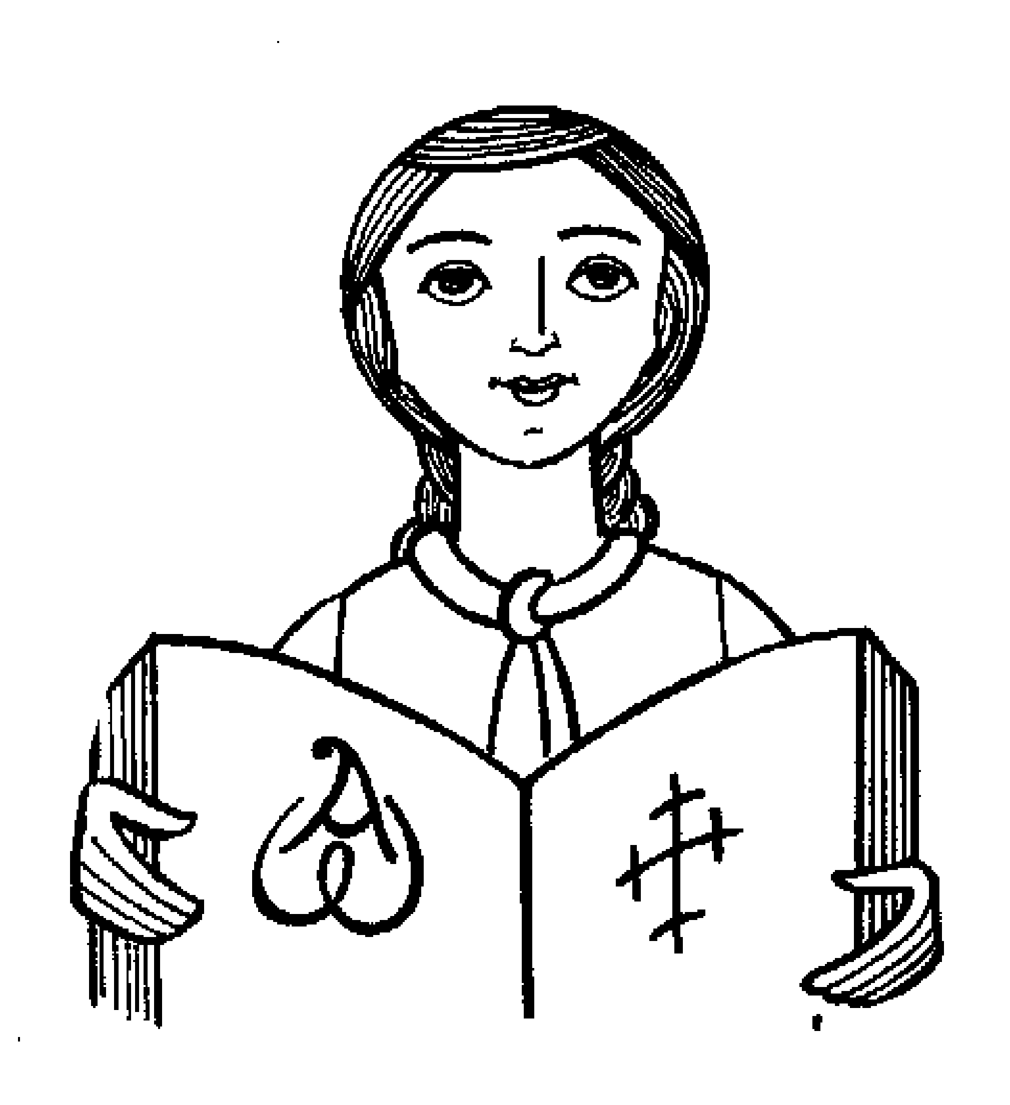
١٦- الخدمة واسطة روحية للنمو

ليس للأولاد فقط ، إنما للمدرس أيضاً ...

الدرس الذى لا يتأثر به الخادم شخصياً ، وتكون له فاعلية فى حياته ، لا يمكن لهذا الدرس أن يؤثر فى المخدومين ... إذن

فالدرس هو واسطة روحية له هو ، ينمو بها روحياً ، ومعه ينمو أولاده ...

والمدرس الذى يظن أن الدرس هو لتلاميذه فقط ، ليس هو خادماً بالحقيقة .. إنما الكلام الذى يقوله لهم ، ينبغى أن يلتزم به هو أيضاً . وهم يرون هذا الكلام منفذاً فى حياته .



٢- مركز الله فى الخدمة

ما أكثر الكلام الذى يمكن أن يقال عن الخدمة . ولكن من أهم ما يقال هو مركز الله فى الخدمة: الله الذى هو سبب الخدمة، وهو الداعى لها، وهو العامل فيها، وهو غايتها وهدفها .

نقول ذلك ، لأن كثيراً من الخدام يتحدثون فى موضوعات عديدة، ما عدا الله! لا ترى الله فى كلماتهم. ولا يدخلون الله فى قلبك، ولا يدخلونه فى حبك، ولا فى فكرك ولا فى حياتك ...!

كلامهم مجرد معلومات ، تزيدك معرفة، ولكن ليس فى الإلهيات، وليس عن الله... ربما عن الفضائل، عن التاريخ، عن مشاهير الشخصيات، عن العقيدة، عن الطقس، دون أن يبدو الله واضحاً في كل هذا...! وهنا نود أن نبدى بضعة ملاحظات منها :

١- إن الخدمة هى تواضع من الله

فالله يستطيع بلاشك أن يعمل العمل كله وحده. يستطيع أن يحول كل العالم إلى قديسين. يستطيع أن يدبر كل أمور الخدمة

بدونك وبدوني، وبغير إحتياج إلى أحد. يمكنه بروحه القدوس أن يغير القلوب، وأن يقود الخاطئ إلى التوبة ...

ولكنه من تواضعه ، أراد أن يشركنا معه فى عمله .

أدخلنا في شركة الروح القدس، لكي يعمل بنا، ويعمل معنا، ويعمل فينا، ويعطينا نصيباً معه في الخدمة، نسير فيها مع روح الرب، هو يعمل كل شئ، وينسبه إلينا ...!

هل بعد هذا ننسى الله فى الخدمة ؟ أهذا يليق ؟!

بل أعجب من هذا أن إنساناً يتخذ الخدمة ليبنى نفسه !

ينحرف بالخدمة ، فتحل الذات محل الله! يريد أن يبنى بها مركزاً له. وشهرة وسمعة وسلطة! ويكون له مذهباً فكرياً، ومجموعة خاصة... وربما بهذا تدخل الخدمة فى نزاعات وانقسامات. ويوجد بولس وأبولس. وتقف الذات في محيط الخدمة ليقول (الخادم): ما مركزى في الخدمة؟ وما حقوقي وكرامتي؟... وهكذا يدور الجهد كله حول الذات، ويختفي إسم الله ...! بينما الله هو الأصل ...

٢- الله هو الذى يدعو إلى الخدمة

لقد قال السيد المسيح لتلاميذه "لستم أنتم اخترتموني. بل أنا

اخترتكم، واقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر" (يو ١٥: ١٦) . وهؤلاء "الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم " (رو ٨: ٢٩) .

إن الله هو الذى يدعو، وهو الذى يختار. وهو الذى يعين، " ولا يأخذ أحد هذه الكرامة بنفسه، بل المدعو من الله كما هرون" (عب٥: ٤) . سواء من جهة الكهنوت أو باقى الخدام، من جهة الإثنى عشر، كما من جهة السبعين (لو١٠: ١)، أو غير هؤلاء وأولئك. إنه يقول للآب "كما أرسلتنى إلى العالم. أرسلتهم أنا إلى العالم" (يو ١٧: ١٨) .

إذن الخدمة إرسالية، يرسلها الله، ويختار لها من يشاء .

هى عمله ، والكرم هو كرمه، وهو يقيم فيه من يشاء من الوكلاء، يعملون فى الكرم تحت إشرافه ... كيف إذن نعمل فى الخدمة. دون أن يكون الله هو الأساس في كل شئ؟! إنه ليس فقط الذى يدعو ويختار ويرسل. وإنما أيضاً :

٣- الله هو المتكلم فى الخدمة

لا يجوز فى الخدمة أن يتكلم أحد من ذاته. حتى بلعام نسمعه يقول : "الكلام الذى يضعه الله فى فمى، به أتكلم" (عد٢٢: ٣٨) .

إذن الخادم هو شخص يتكلم بما يضعه الله فى فمه .

هو مجرد شخص يأخذ من الله، لكى يوصل للناس. وما عليه إلا أن يكون موصلاً جيداً لكلمة الله. إنه شخص ناطق بالإلهيات... إننا نقرأ كثيراً فى سفر اللاويين هذه العبارة :

وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى إسرائيل وقل لهم :

(لا١: ١، ٢)، (لا٤: ١، ٢)، (لا٧: ٢٨، ٢٩)، (لا١١: ١، ٢).

وهكذا كان موسى يأخذ من فم الله، ويكلم الناس. موسى ما كان يعرف أن يتكلم. وقد سبق أن قال للرب "لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان" . فأجابه الله "أنا أكون مع فمك. وأعلمك ما تتكلم به" (خر٤: ١٠، ١٢).

وهوذا ربنا يسوع المسيح يقول لتلاميذه قولاً معزياً :

"لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم" (مت١٠: ٢٠).

ما أجمل هذا، إن الإنسان لا يتكلم من ذاته، إنما يوصل كلمة الله للناس، وليس فكره الخاص، ولا مفهومه الخاص، وإنما فكر المسيح (١كو٢: ١٥). بل هوذا بولس الرسول نفسه بكل مواهبه يطلب من أهل أفسس أن يصلوا بكل صلاة وطلبة في كل وقت من أجله... وتسأله لماذا ؟ فيقول :

" لكى يعطى لى كلام عند افتتاح فمى" (أف٦: ١٩) .

إنه يطلب أن يعطيه الله الكلام الذى يقوله ... أليس هذا درساً لنا نتعلمه من هذا القديس العظيم، أعظم كارزى المسيحية؟! فهل أنت تصلى من أجل هذا أيضاً، لكى يعطيك الله كلمة عند افتتاح فمك غير معتمد على ذكائك ومعلوماتك وخبرتك ...؟! فالله هو "المعطى كلمة للمبشرين بعظم قوة" (مز٦٨: ١١) .

فإن كنت لم تأخذ من الله، فمن الخطورة أن تتكلم .

نعم من الخطورة أن تملأ أذهان الناس بكلام بشرى، أو كما يقول الرسول "بكلام الحكمة الإنسانية المقنع" (١كو٢: ٤)، وليس بكلام الله .

اسكب نفسك إذن أمام الله قبل الخدمة، لكى يعطيك الكلمة المناسبة النافعة للناس. الله إذن هو الذى يدعو ويرسل وهو الذى يعطى الكلمة. وماذا يعطى أيضاً ؟

٤- الله هو الذى يعطى القوة والتأثير

لقد أمر السيد المسيح تلاميذه ألا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالى (لو٢٤: ٤٩). وماذا كانت تلك القوة؟ لقد قال لهم "ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وحينئذ تكونون

لى شهوداً " (اع١: ٨). وفعلاً لم يخدموا إلا بهذه القوة التى أخذوها من الروح القدس ...

فإن كنت لم تأخذ قوة من الروح القدس، فبأى قدرة يمكنك أن تخدم؟!

إعداد الخدام

هنا ولعلنا نسأل : كيف يكون إعداد الخدام للخدمة ؟

كثيرون يعدونهم بالمناهج: مناهج تربوية، ودروس فى الكتاب وفى التاريخ، وفى العقيدة وفى الطقس، مع تداريب عملية تحت إشراف. وكل هذا نافع، ولكنه ليس كل شئ .. ولا هو قبل كل شئ. وإنما ...

لابد من الإعداد الروحى، الذى يمتلئ فيه الخادم من روح الله، ليأخذ منه ما يعطيه .

لا يأخذ منه فقط الكلام ، وإنما أيضاً القوة والروح والتأثير، كما يأخذ منه كذلك الحب العميق الذى يحب به المخدومين ويسعى به إلى خلاصهم بكل اجتهاد .

لقد قال بطرس الرسول كلمة فى يوم الخمسين. نخست القلوب.

فآمن ثلاثة آلاف من اليهود، إذ نخسوا فى قلوبهم. واعتمدوا فى ذلك اليوم (أع٢: ٤١). فكيف حدث ذلك؟ هل كلمة عادية تحدث كل هذا التأثير؟ كلا. وإنما :

كانت الكلمة تحمل قوة ، تحمل روحاً، وتحمل أيضاً لسامعيها قدرة على التنفيذ ...

هناك فرق بين إنسان يقول لك كلاماً، فتقتنع به، ومع ذلك تشعر بعجزك عن التنفيذ، وبين إنسان آخر يعطيك الإقتناع ومعه القدرة على العمل. المسألة ليست مجرد ثقافة أو لباقة أو قدرة على التخاطب. إنما روح يصل إلى السامع مع الكلام الذى يصل إلى أذنيه .

إذن تحضيرك للدرس هو تحضير نفسك روحياً ...

لكى تكون فى حالة روحية ، تملأ فيها النعمة قلبك، وتمنحك مع الكلمة قوة وتأثيراً. وتستطيع أن تحضر الله معك، يدخل إلى الفصل. وهو الذى يتكلم على لسانك، وهو الذى يعمل فى القلوب وفى الأسماع. ويشعر السامعون إن الله كان معهم أثناء الكلمة. ويقولون: حقاً إن هذه الكلمة مملوءة من روح الله... كنا نشعر أثناءها أن روح الله يحرك قلوبنا. ويشعل إحساساتنا ومشاعرنا.

الخادم الحقيقى هو إنسان حامل الله (ثيؤفورس) :

مثل لقب القديس أغناطيوس الأنطاكى. إنه يحمل الله معه أينما سار. وينقله إلى الناس، إنه إنسان عاش مع الله. وذاق حلاوة العشرة مع الله. وهو يقدم هذه المذاقة إلى الناس. ويقول لهم "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤: ٨) .

لذلك نقول إن هناك فرقاً بين الخدمة والتدريس ...

التدريس هو توصيل المعلومات إلى العقول من شخص تربوى خبير بطرق التعليم . أما الخدمة فى توصيل الناس إلى الله عن طريق شخص روحى لا يعطيهم مجرد معلومات، إنما يعطيهم روحاً، ويعطيهم حباً لله ولملكوته .

عندنا فى مدارس الأحد مدرسون كثيرون ليسوا خداماً .

عندنا كثيرون يقرأون الكتب، ويمتلئون بالمعلومات. ولهم قدرة على تفهيم الآخرين هذه المعلومات. ولكن هل هذه هى الخدمة؟! إن هذا تعليم وليس خدمة... أما الخدمة فهى روح ينتقل إلى السامعين فيشعلهم بمحبة الله. وهكذا يكون الخادم: يوصل الروح والحب، وليس مجرد الكلام .

إنه شخص يحب الناس : وينقل إليهم محبة الله .

إنه ثابت فـي اللـه . وبالتـالى ثـابت فـى المحبـة، لأن اللـه محبـة (١يو٤: ١٦). والله يدرب خدامـه علـى الحـب، لأن الحـب عنصـر لازم للخدمة، بدونه تصبح الخدمة مجرد نشـاط. والمحبـة التـى فـى القلب هى التى تخدم . ولا تستريح حتى توصل كل نفس إلـى قلـب الله.

إن كنت لم تصل إلى هذه المحبـة، فـأنت لـم يتـم إعدادك بعد للخدمة .

ولكن أية محبة ؟ نجيب : تحـب النـاس كـل الحـب، كمـا يحبهـم الله. تحبهم لأنهم أخوتك، ولأنهم أولاد الله. تحـب خـلاص أنفسـهم، وتحب ارواحهم لكى توصلها إلى الله. تحب الكنيسة التي هـى جسـده وتحب الملكوت الذى هو متعة الناس بالله. ومن كـل قلبـك تريـد أن الجميع يحبون الله، لأنه هو قد أحبهم أولاً (١يو٤: ١٩) .

الخدمة ليست مجرد معرفة تنتقل من عقـل إلـى عقـل، إنمـا هـو روح وحياة يمتصها المخدوم من الخادم ... من خادم يحل الله فيـه، وينتقل حبه إلـى السـامع، فيشـعر بنفس الحلـول ومسـكين هـو ذلـك الخادم البعيد عن اللـه، أى فـراغ يقدمـه لسـامعيه؟ وكيـف يقـدم اللـه للناس وهو لم يختبره ؟!

وما أجمل المثل القائل : فاقد الشئ لا يعطيه .

ونود هنا أن نقدم مثالاً من سفر الرؤيا يوضح علاقة الرب بالكنيسة وبالخدام .

مثال المنائر والكواكب

قال القديس يوحنا الرائى إنه أبصر الرب فى وسط سبع منائر من ذهب هى السبع الكنائس، ويمسك فى يمينه سبعة كواكب هى ملائكة الكنائس (رؤ٢: ١) (رؤ١: ٢٠) ...

والرؤيا تشرح كيف أن الله فى وسط الكنيسة "الماشى فى وسط السبع المنائر الذهبية" . أليس هو الذى قال "حيثما أجتمع إثنان أو ثلاثة بأسمي، فهناك أكون فى وسطهم " (مت١٨: ٢٠). أو ليست هذه هى صورة خيمة الإجتماع فى وسط خيام الشعب كله... والله يكون فى وسط الكنائس عاملاً ومدبراً ومقوياً، ومعطياً كلمة للمتكلمين .

إنه النور الحقيقى . وبنوره تنير هذه المنائر السبع ...

إنه الزيت المقدس الذى تتشبع به الفتيلة، فتضئ فى المسرجة.

وهو عصارة الحياة التى تسرى فى الكرمة، فتنتعش وتنمو وتثمر.

وهو الذى يمسك الخدام فى يمينه، ويحركهم حيث يشاء .

يمينه هى التى تتحرك بهم، فيخيل إلى الناس أن الخدام هم الذين يتحركون ...

وفيما هم في يمينه، يغنى كل خادم بمزمور داود قائلاً : "يمين الرب صنعت قوة. يمين الرب رفعتنى" (مز ١١٧). وإن كان الخادم فى يمين الله فلا يمكن أن يشرد أو ينحرف أو يضل. لأنه لا يتحرك من ذاته، بل يمين الله هى التى تحركه. عليك إذن أن تتأكد من وضعك .

إن لم تكن فى يمين الله، فلا يمكنك إذن أن تخدم .

إذن إعداد الخدام فى جوهره هو وضعهم فى يمين الله، فيعمل بهم، ويتحرك بهم من موضع إلى موضع، كمجرد أدوات طيعة فى يديه. كل منهم طينة ناعمة لينة، طيعة فى يدى الفخارى العظيم، يصنع بها آنية للكرامة (رو٩: ٢١) . إنها الخدمة الفعالة الناجحة .

والخادم يحاول باستمرار أن يستمد قوة من الله تتجدد فيه كل يوم.

إنه يصلى باستمرار ويقول إن العالم صعب كما ترى، يزخر بفنون متعددة من الفساد. ومن أنا حتى أقاوم المنجذبين إليها؟ أنت

يارب الذى تستطيع أن تمنح القوة لى، ولهؤلاء السامعين ، فـاعطنى كلمة من عندك، واعطنى حكمة أسلك بها، واحفظنى حتـى لا أكـون عثرة لأحد .

أنت ترشدنى وترشدهم. تعلمنى وتعلمهم، ترعـانى وترعـاهم، وتقودنى وإياهم إلى المراعى الخضراء وينابيع المياه الحية .

وكما قال القديس أوغسطينوس " إننى أبدو معلمـاً لهم، ولكننـى تلميذ معهم فى فصلك. وقد أبدو راعياً لهم، ولكننى واحـد منهـم فـى قطيعك". بهذا تدخل الله معك إلـى الخدمـة، ويكـون الـدرس الـذى تلقيه، هو درس من الله لك ولهم. درس فـى محبـة اللـه والإلتصـاق به .

وهكذا يكون الله هو الدرس وهو ايضاً المدرس .

وبهذه تكون الخدمة عبارة عن نعمة من الله تعمل فى إنسان من أجل إنسان آخر، لتربط كليهما باللـه. أو تكـون الخدمـة هـى شـركة الروح القدس حيث يشترك الروح مع الخادم مـن أجل المخدومين، وإن كانت الخدمة هكذا، فماذا يكون التكريس إذن؟!

التكريس هو نمو فـى الحب، حتـى يصبـح القلـب كلـه للـه ، والوقت كله لله، فى مناجاته أو خدمته .

ولكن ماذا عن الذين ينهمكون فى الخدمة، حتى تنسيهم الله؟ هؤلاء لم يفهموا الخدمة بمفهومها السليم، وظنوها مجرد دروس ومعلومات!! أو مجرد أنشطة وحركة! أو هم قد انشغلوا بالوسيلة عن الهدف ! أو جعلوا ذاتهم هى محور الخدمة ، وبعدوا بالخدمة عن الله نفسه .

الخدمة ليست مجرد معرفة . فالمعرفة كانت أول حرب للإنسان .

لذلك حينما اشتهى شجرة المعرفة (تك٣) وأكل منها، فصار جاهلاً. لأنه اشتهى "معرفة الخير والشر " وليس معرفة الله، الذى نقول له فى القداس الإلهى "اعطينى فضل معرفتك " هذه المعرفة التى قال عنها ربنا يسوع المسيح لله الآب "هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ..." (يو ١٧: ٣) .

والإقتصار على المعرفة يخرج علماء وليس متدينين .

ما أكثر الذين يعرفون . ويعلمون ويشرحون، وحياتهم خالية من الله! وإن جادلتهم فى شئ يضجون ويثورون، ولا تبدو فى ملامحهم صورة الله! ما أكثر العلماء، ما أقل القديسين... ومع ذلك نحن نحب المعرفة . ولكن أية معرفة ؟ معرفة الله ومعرفة طرقه،

كما قال داود النبى للرب " علمنى طرقك، فهمنى سبلك" . وأيضاً المعرفة المتواضعة التى لا تنتفخ (١كو٨: ١). والمعرفة التى هى مجرد وسيلة تقود إلى الله. لأن كثيرين ملأوا عقولهم وعقول الناس بمعلومات ينطبق عليها قول الكتاب "الذى يزداد علماً يزداد غماً " (جا١: ١٨). فابحث معلوماتك من أى نوع هى ؟

البعض ظنوا الخدمة مجرد أخلاقيات لا روحيات .

والأخلاقيات موجودة فى الفلسفة أيضاً ، وخارج نطاق الدين، كما فى الفلسفة الرواقية مثلاً. وتجدها فى بعض الديانات البدائية، كما فى الهندوسية والبوذية. ولكن هناك فرقاً بين الأخلاقيات والروحيات. فالواحدة منها قد تكون مجرد سلوك ، بينما الأخرى فيها روح الإنسان تتعلق بروح الله. وما أكثر ما نجد إنساناً مهذباً، ولكن لا علاقة روحية بينه وبين الله .

إذن فى الخدمة هناك مستويات تتطور من مجرد المعلومات، إلى الأخلاقيات إلى الروحيات والإلهيات .

فمن أية الأنواع أنت وخدمتك؟ وهل تحرص فى خدمتك أن تربط مخدوميك بالفكر، أم بالمجتمع، أم بك أنت؟ أم تربطهم بالله. هل تعلمهم مجرد الخلق الكريم، أم تدربهم على القداسة التى بدونها

لا يعاين أحد الرب، وعلى نقاوة القلب التى يصبحون بها صورة الله، ويؤهلون لسكنى الله فيهم، بالإيمان ...؟

الفضائل لازمة، ولكنها ليست منفصلة عن الله، وكذلك المعلومات .

ما أقوله فى ذلك عن الخادم فى الكنيسة، أقوله أيضاً عن الأب والأم فى البيت. فهل التربية المنزلية هدفها إيجاد أبناء مؤدبين هادئين، أم إيجاد أبناء لله، تربطهم بالله علاقة حب، وعلاقة طاعة وإنتماء، ليكونوا مقدسين له فكراً وجسداً وروحاً. ولهم سلوك طيب نابع من محبتهم بالله وملكوته. ويعدون أنفسهم باستمرار لسكنى الله فيهم ...

هذا المنهج هو الذى يدخل فى التدريس فيعطيه روحاً .

أمثلة فى التعليم

١ – فى الكتاب المقدس هل تقدم فيه معلومات ، أم قصة الله مع الناس فى محبته ورعايته واحتماله ؟

أتحكى قصص الكتاب كما تحكى روايات من التاريخ المدنى؟ أم تركز على الله ومعاملاته . الله الذى أحب البشر قبل ان يوجدوا، ومن أجل هذا خلقهم. وفى محبته رعى وهدى وفدى. إنه عمانوئيل

الذى تفسيره "الله معنا" (متى١: ٢٣). وما الحديث عن الخلق، سوى حديث عن محبة الله الخالقة، وعن قدرة الله الفائقة، وعن حكمة الله المدبرة، التى رتبت للإنسان كل شئ قبل أن يخلقه الله...

٢ – وإن تحدثنا عن الخطية والتوبة ، أيكون حديثاً عن الله ؟

فالخطية ليست مجرد فساد وضلال، إنما هى بالأكثر انفصال عن الله، وتمرد على الله. والتوبة ليست مجرد إصلاح السيرة، إنما هى بصورتها السليمة تصالح مع الله ورجوع إلى الله، وتغيير المسيرة من محبة العالم إلى محبة الله. وهكذا تكون الدعوة إلى التوبة: لماذا تحيا بعيداً عن الله، محروماً منه؟! اقترب إذن إليه وتمتع به وبعشرته، كما يقول المرتل "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" .

٣ – وعلى هذا النحو فكيف يكون تدريس سير القديسين؟

هل هو مجرد سرد لتاريخ حياتهم وأعمالهم؟ أم كيف أعد الله هذه النفوس، حتى وصلت إلى ذلك المستوى العالى؟ وكيف قواها وحفظها؟ وكيف أحبوه هم من كل القلب وظهرت هذه المحبة فى حياتهم.

هل قصة القديس هى قصة حياته، أم هى حكاية الله داخل هذا الإنسان ؟

أو هى قصة عمل اللــه فيه، ومحبة الله لـه، ومحبتـه هـو لـلـه. وكما لخـص بولس الرسول تـاريخ حياتـه بقولـه "لأحيا لا أنـا، بـل المسيح يحيا فـيّ" (غل ٢: ٢٠) . أنستطيع إذن أن نحكـى سـيرة القديسين بدون حياة الله فيهم؟! بدون المواهب التى من الله، وقيادة الله لهم فى موكب نصرته (٢كو٢: ١٤). وقصة الحب الإلهى الذى أغناهم عن محبة الأقرباء والأصدقاء والمعـارف. وكمـا قـال الشيخ الروحانى "محبة الله غربتنى عن البشر والبشريات " .

٤ – والنعيم الأبدى : هل نصفه بعيداً عن البشرية ؟!

هل هو مجرد سماء، ومجرد نعم وملكوت، وأورشليم السـمائية؟ وهل هو جنة؟ أم النعيم السمائى هو التمتع بالله نفسـه، هـو العشـرة الدائمة مع الله ومع القديسين الذين أحبـوه هـو تحقيق لقولـه الإلهـى "حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً " (يو١٤: ٣) إنه "سكنى الله مع الناس" (رؤ٢١: ٣) .

٥–وبنفس الأسلوب يكون تدريس اللاهوت والعقائد والطقوس

فلا تكون مجرد معلومات عقلية جافة، إنمـا تكـون حديثـاً ممتعـاً عن الله، يشعر فيه سـامعوك أنـك "نـاطق بالإلهيـات" باسلوب شـيق ممتع يعمق محبتهم لله .

٣- التواضع فى الخدمة

المفروض فى الخادم أن يتصف بصفات روحية ولعل فى مقدمتها التواضع ومن أهمية هذه الصفة أن السيد المسيح قال لتلاميذه: " تعلموا منى فأنى وديع ومتواضع القلب " (مت ١١: ٢٩).

كان يمكن أن يركز على فضائل كثيرة تتمثل فى شخصه القدوس ولكنه ركز على التواضع والوداعة ذلك لأن الذى يخدم كثيراً ما يحارب بالكبرياء أوالعظمة اذ يجد أنه قد إنتقل من صفوف المخدومين إلى مصاف الخدام .

وانه أصبح من الأشخاص المهمين فى الكنيسة ومن الاشخاص الذين يؤخذ رأيهم فى سيامة كاهن جديد للكنيسة بل ربما يكون هو أحد المرشحين للكهنوت لذلك نريد أن نقدم بعض ملاحظات فى هذا الموضوع

١- لا يجوز أن ينسى الخادم أنه خادم :

إنــه خـادم

حسن هذا اللقب أنه خادم وليس سيداً!

ولم نعطه لقب كارز، أو معلم، أو مدرس ...

وظيفته أن يخدم لا أن يسيطر أو يتكبر فالكبرياء ليست من صفات الخادم والعجيب أن السيد المسيح نفسه لقب نفسه بلقب خادم. وعلى الرغم من أنه ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ١٩:١٦) إلا أنه انحنى وغسل أرجل التلاميذ لكى يعطيهم مثالاً(يو١٣:٥،١٥) بل قال أيضاً

" أن أبن الانسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠:٢٨)

ولقب خادم قد تلقب به الملائكة أيضاً فقيل عنهم فى رسالة العبرانيين " أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين ان يرثوا الخلاص" (عب١:١٤) وقيل فى المزمور " الذى خلق ملائكته أرواحا، وخدامه ناراً تلتهب" (مز١٠٤: ٤) .

وكما لقب الملائكة بأنهم خدام ، كذلك الرسل أيضاً:

يقول القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله ابلوس "من

هو بولس ومن هو أبلوس؟ بل خدامان أنتم بواسطتهما" (١كو٣: ٥) ويقول من مساعده تيخيكس "يعرفكم بكل شيء تيخيكس الاخ الحبيب والخادم الأمين في الرب" (اف٦:٢١) ويقول عن أبفراس "الذى هو خادم أمين للمسيح لأجلكم" (كو١:٧) وقال عن القديس مرقس الرسول " إنه نافع لى للخدمة " (٢تى ٤: ١١) . وقال بصفة عامة "كفايتنا من الله، الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد " (٢كو٥: ١٨، ٢٠). وقال إن الله أعطانا خدمة المصالحة.... نطلب من المسيح تصالحوا مع الله " (٢كو ١٨: ٢٠) ...

والأباء الرسل عند اختيار الشمامسة السبعة ، قالوا " أما نحن فنعكف على الصلاة وخدمة الكلمة " (أع٦: ٤) .

آباؤنا الرسل كانت لهم خدمة الكلمة، وخدمة المصالحة . والآباء الكهنة عموماً هم خدام المذبح وكلمة شماس معناها خادم.

والكاهن الذى يستلم الذبيحة يسمى فى الطقس (الكاهن الخديم) حتى الأرملة التى كانت تخدم فى الكنيسة أشترط فيها الرسول أن تكون مشهوداً لها فى أعمال صالحة أضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين" (١تى ٥:١٠) والعناية بالفقراء نسميها الخدمة الاجتماعية.

وحتى إجتماع مدرسى التربية الكنسية نسميه إجتماع الخدام .

فمادمت يا أخى خادماً أسلك فى أتضاع كخادم ولا يرتفع قلبك من الداخل. إفهم الكلمة فى جوهر معناها، ولا تجعلها تفقد حقيقتها ومدلولها وكان القديس أوغسطينوس يصلى من أجل رعيته قائلاً "أطلب إليك يارب من أجل سادتى عبيدك ...".

إن كنت خادماً فيجب أن تتصف بالطاعة ...

طاعة لله وطاعة لرؤسائك فى الخدمة ومدبريك.

بعض خدام التربية الكنسية يتحدون الاب الكاهن فلا يحترمونه ولا يطيعونه ومع ذلك يقولون إنهم خدام! ونفس الوضع نقوله عن الكاهن الذى لا يطيع أسقفه !! ونقوله عن أعضاء مجلس الكنيسة الذين ينفردون بالعمل دون مشورة رئاستهم الكنسية!!

لا تظن أنك إحد قادة العمل الرعوى أو التعليمى فى الكنيسة .

بل تذكر باستمرار أنك خادم وأسلك كما يليق بخادم واحذر أن تفقد تواضعك لانه كما يقول الكتاب " قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦:١٨)

٢- من الأمور الأخرى التى تجلب التواضع فى الخدمة :

التلمذة

يظن بعض الخدام أنهم لما أصبحوا خداماً أنتهى بالنسبة إليهم عصر التلمذة وهذا فهم خاطىء .

إنما لكى تحتفظ بتواضعك إحتفظ باستمرار بتلمذتك .

كل المسيحيين فى العصر الرسولى كانوا يدعون تلاميذاً والسيد الرب لماأرسل الاحد عشر للكرازة قال لهم " أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" (مت ٢٨:١٩) وفى أنتشار الكرازة قيل "وكانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً " (اع ٦: ٧) .

إذن استمر تلميذاً للرب وتلميذاً للكنيسة ولا يكبر قلبك.

وان شعرت أنك صرت معلماً وأصبحت فوق مستوى التلمذة أعرف جيداً أنك بدأت تسقط فى الكبرياء .

أتذكر أننا حينما كنا خداماً فى مدارس الاحد فى كنيسة الانبا انطونيوس منذ حوالى ٤٥ سنة كان كل خادم يجلس كمستمع أو كتلميذ فى أربعة اجتماعات كل أسبوع: فى أجتماع الاسرة وفى أجتماع الخدام واجتماع الشبان وفى الفصل الكبير الذى كان يبدأ فى السابعة والربع مساء، بعد أنتهاء التدريس فى باقى الفصول.

وباستمرار كان الخدام يتعلمون من غيرهم فيستمرون في تواضعهم.
قل لنفسك أنا باستمرار مازلت أتعلم ومحتاج أن أعرف .

وإن عشت في حياة التلمذة ستتخلص من مشاكل كثيرة :

ستتخلص أولاً من روح الجدل وكثرة المناقشات (المقاوحة) وتكون مستعداً أن تتقبل الرأى الآخر بروح طيبة. لأن الذين يدخل فيهم روح الجدل يسلمهم الى روح العناد وتصلب الرأى ويظنون أنهم يفهمون أكثر من الكبار . بل وقد يظنون أنهم هم الكبار .

احتفظ إذن بطفولتك الروحية حسب قول الرب :

"إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الاطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ١٨:٣) ...

وما أكثر الأمثلة لقديسين عاشوا تلاميذ :

يشوع ظل تلميذاً لموسى طول حياته إلى أن رقد موسى في الرب واليشع ظل تلميذاً لإيليا إلى أن صعد إلى السماء، فودعه بعبارة يا أبى يا أبى يا مركبة أسرائيل وفرسانها (٢مل ٢:١٢) والقديس أثناسيوس الرسولى مع أنه كان بابا الاسكندرية أحتفظ بتلمذته للقديس أنطونيوس الكبير ولما كتب سيرته قال "وأنا نفسى صببت ماء على يديه " اى كان يخدمه .

كان التلاميذ قديماً يجلسون عند أقدام معلميهم .

فلا يجلسون إلى جوارهم وأمامهم بل كان المعلم يجلس على كرسي وتلاميذه جلوس على الأرض عند قدميه وعن هذا قال القديس بولس الرسول " ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدباً عند رجلي غمالائيل (اع ٢٢:٣) هذا هو إتضاع التلميذ أمام معلمه ويعتبر أيضاً أنه ليس فقط يعلمه بل يربيه أيضاً ويؤدبه .

ما أصعب أن خادماً يقرأ كتاباً أو كتابين فيتكبر على معلميه .

ويتكبر أيضاً على آبائه الكهنة ويفرض مشيئته على أب أعترافه فإما أن يوافق الاب على رأيه أو يعصاه !! وهكذا يصير حكيماً في عيني نفسه الامر الذى نهانا عنه الكتاب فقال لا تكن حكيماً في عيني نفسك وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣:٧،٥) عش إذن تلميذاً متواضعاً .

والتمس المعرفة من كل مصادرها :

تتلمذ على أب أعترافك وعلى آباء الكنيسة وعلى الاجتماعات الروحية وتتلمذ على الطبيعة على زنابق الحقل وطيور السماء وتتلمذ على الكتب الموثوق بها ولا تظن مهما كبرت أنك قد

أرتفعت عن مستوى التعليم .

إن تاريخ الكنيسة يسجل لنا قصصاً عجيبة عن أتضاع القديسين فى التلمذة .

تصوروا واحداً من الآباء الكبار مثل القديس موسى الأسود يطلب كلمة منفعة من الصبى زكريا فلما يستحي الفتى منه قائلاً : "أنت عمود البرية وتطلب منى كلمة؟!" يجيبه القديس " صدقنى يا أبنى لقد عرفت من الروح الذى عليك أن عندك كلمة أنا محتاج أن أعرفها "..!

والقديس مكاريوس الكبير أخذ كلمة منفعة من راعى بقر ... وكان الآباء يلتمسون كلمة منفعة بينما كانت لهم سيرة ملائكية يشتهى الكثيرون أن يتعلموا منها.

التواضع فى التعليم

صدقونى أكثر ما يتعب كنيستنا حالياً هو عدم التواضع فى التعليم.

كل خادم يأتى له فكر جديد فى تأملاته أو من قراءاته يحاول يجعله عقيدة ويدرسه للناس وهناك نوع من الكتاب، ويروق لهم

إلغاء المفهوم السائد ليقدموا بدلاً منه مفهوماً جديداً وكأن الواحد منهم قد اكتشف ما لا تعرفه الكنيسة كلها والناس جميعاً وكأنه يعلم ما لا يعلمون .

المشكلة هى تقديم المفاهيم الشخصية وليس تعليم الكنيسة وعقيدتها .

ومحاولة للجدل وللاثبات ولاقناع الناس بخطأ المفهوم السائد والبعض قد ينتقد الكنيسة. والبعض يغير ألفاظ. القداس والبعض يصرح بزيجات بعكس قوانين الكنيسة والبعض يصلى بقداسات غير مألوفة فى كنيستنا .

وكل واحد من هؤلاء يعتبر نفسه مصدراً للتعليم .

وكأنه جبهة مستقلة فى تعليمه أو جزيرة قائمة بمفردها فى المحيط وإن تدخلت الكنيسة لاصلاح الوضع، يقيم الدنيا ويقعدها، ويحيط نفسه بمجموعة خاصة من تلاميذه لتسانده. ويقف ضد الكنيسة وينادى بأن تعليمه هو السليم والكل مخطىء !

وقد تجد لكل فرع من التربية الكنسية منهجاً خاصاً .

أمين الفرع لا يعجبه المنهج العام، فيعدل فيه ويبدل، أو يضع منهجا خاصاً يرى أنه الأفضل والأصوب. وإن شاء الله سنضع

منهجاً موحداً ونأخذ فيه رأى الاباء وقادة الخدمة نرجو بعد وضعه أن يتواضع الخدام ويعملوا به ... ولا يقف لنا أحد ليقول من حقى أن أعترض... ومن حقى أن أرفض. ومن حقى أن أسير حسب فكرى والا فأين هى الديمقراطية فى الكنيسة ولا يقول له أحد أين هو التواضع؟!

الكنيسة الأولى تميزت بالفكر الواحد .

لأنها كانت كنيسة متضعة تخضع لفكر قادتها .

أما البروتستانتية التى نادت بالحرية فى التفسير والتعليم، فقد تكونت فيه مواهب متعددة زادت فيها مذاهب على المائة أما الكنيسة المحافظة التقليدية فإنها تحفظ الايمان سليماً، ولا تسمح بالمفاهيم الفردية التى تتحول إلى عقائد بل تنصح أصحابها بالإتضاع.

الخادم المتواضع أيضاً لا يستعرض معلوماته !!

إنما يقدم التعليم فى أسلوب روحى هادىء. لا يحاول أن يفلسف المعلومات ولا يمسك ببعض الكلمات ويضع أمامها النص العبرى أو اليونانى، أو بعض الترجمات الانجليزية. وقد لايكون الشعب على علم بشىء من كل هذا. وقد لا يكون كل هذا لازماً لإثبات

الفكرة التى يقدمها. وقد لا تكون المراجع التى يستخدمها سليمة وقد يتبع فى ذلك بعض المذاهب التى تسير بالمنهج العقلانى لا بالمنهج الروحى...

الخادم المتواضع ينزل إلى مستوى المخدومين ولا يبهرهم بمعلومات فوق مستواهم لا تفيدهم بشىء .

إنه لا يفكر فى ذاته والمستوى الذى يريد أن يأخذه الناس عنه. إنما ينشغل بفائدة الناس الروحية، بينما تختفى ذاته تماماً .

لذلك هو يحضر درسه أو عظته أو محاضرته ولا مانع عنده أن تكون ورقة تحضيره ظاهرة فهو لا يضيع فائدة السامعين من أجل أن يأخذوا عنه فكرة أنه يتكلم من الذاكرة....

الخادم المتواضع يهتم بتحضير درسه .

ولا يعتمد على معلوماته السابقة ولا على ذاكرته، كما يفعل بعض الخدام الكبار، ولا يحضرون ما يقولون فتبدو كلماتهم أحياناً ضعيفة لأنهم لم يتواضعوا بل وثقوا بأنفسهم وبقدراتهم أزيد مما يجب .

الخادم المتواضع يحترم عقليات السامعين مهما صغروا .

ويبذل كل جهده لكى يقدم لهم كلاماً دسماً يشبعهم .

التواضع والذات

الخادم المتواضع ينكر ذاته. يختفى لكى يظهر الرب، كما قال القديس المعمدان " ينبغى أن ذاك يزيد وأنى أنا أنقص" (يو ٣:٣٠).
أما غير المتواضع فيتخذ الخدمة ليبنى بها ذاته بطريقة خاطئة فهو يفكر كيف يرتقى فى الخدمة، وليس كيف يرتقى بالخدمة، ويفكر فى مستوى المجالات التى يتكلم فيها، وربما يسعى إلى المناصب وقد يصطدم بقيادات الكنيسة. ويتعود كيف يأمر وينهى وينتقد ...

وربما يفتخر بخدمته ومدتها ومستواها .

يقول أنا لى ٢٠ سنة فى الخدمة . أنا خرجت أجيالاً... ويكبر فى عينى نفسه ويريد أن يطاع، لا أن يطيع ويصطدم بالأنظمة الموضوعة . ويحكى قصصاً عن ماضيه ويدخله روح العظمة.

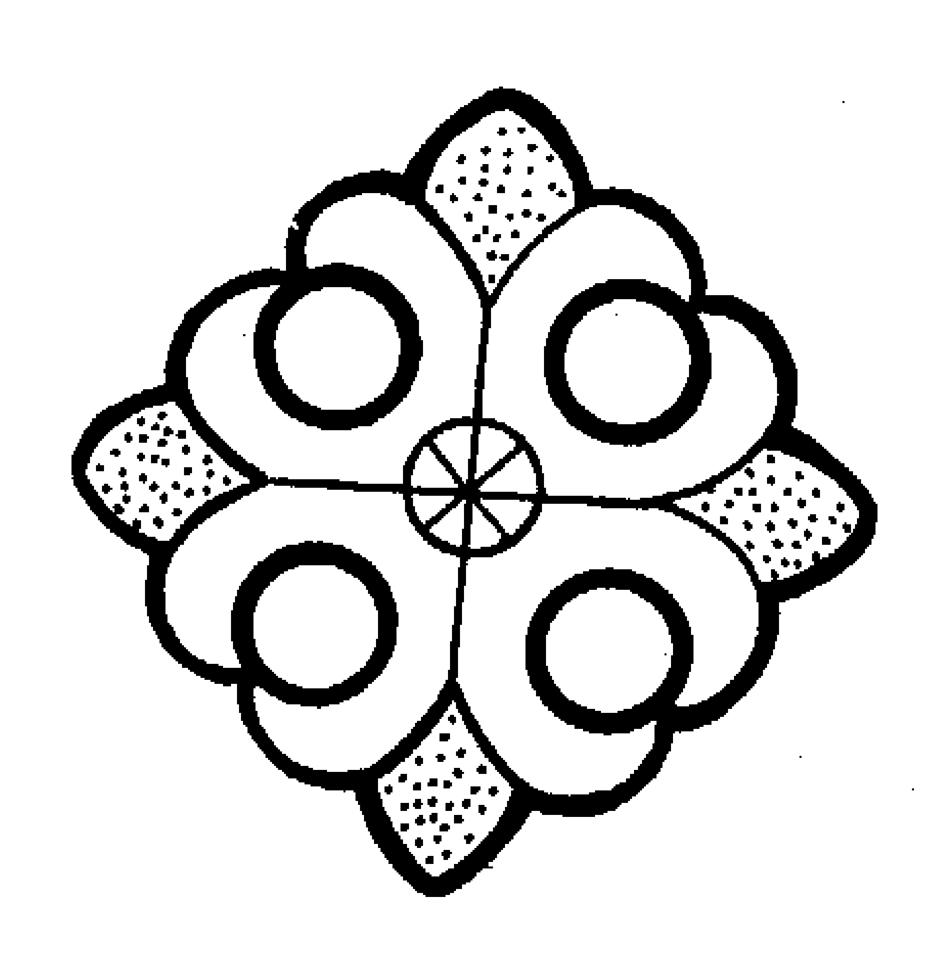
الخادم المتواضع يكون كالنسيم الهادىء

فى دخوله وخروجه لا يشعر به أحد، يكون رقيقاً دمثاً وديعاً ، لطيفاً فى معاملاته، لا يخدش شعور أحد، لا يجرح انساناً، لا يهتم بتولى مناصب فى الخدمة، يطيع فى كل ما يوكل اليه، "لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته " (مت١٢:١٩) "ولا

يرتئى فوق ما ينبغى " (رو١٢: ٣)

أحذر أن تفقدك الخدمة تواضعك .

لأن كثيرين كانوا متواضعين قبل الخدمة ثم تغيروا. أما أنت فلا تكن كذلك لانه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟! (مت ١٦: ٢٦)



٤- مقاييس الخدمة ونجاحها

إن مقاييس الله غير مقاييس الناس. الله هو فاحص القلوب والكلى، والعارف بحقائق الأمر. هو الذى يستطيع أن يقيم خدمة كل أحد. ويعرف مدى فاعلية الخدمة أو روتينيتها. حقيقة الخدمة أو مظهرها .. ولاشك أننا فى الأبدية سنجد أموراً عجيبة ما كنا نتخيلها إطلاقاً .

ربما نرى فى الأبدية خداماً ما كنا نسمع عنهم !! وربما بعض الخدام الظاهرين الآن، لا نراهم هناك !!

حقاً إن مقاييسنا فى تقييم الخدمة غير مقاييس الله .. وهنا نريد أن نفحص ما هىمقاييس الناس فى نجاح الخدمة، وما حكم الله عليها. وندرس ما هى المقاييس الخاطئة، وما هى المقاييس السليمة.

أول مقياس للناس ، هو مقدار المسئوليات .

مقدار المسئوليات

يقيس الناس الخدمة بحجم المسئوليات الملقاة على الخادم، بينما الله له مقياس مختلف .

✪ **خذوا مثلاً إسطفانوس أول الشمامسة .**

إنه مجرد شماس ، لم ينل رتبة أعلى من ذلك. فهل نقيس خدمته برتبته؟! كلا، بلا شك. فإن الكنيسة المقدسة تضع إسمه فى مجمع القديسين قبل جميع البطاركة. وتقاس خدمتها بعمقها. وكيف أنه كان مملوءاً من الروح القدس والحكمة والإيمان (أع ٦: ٣، ٥) . " وإذ كان مملوءاً إيماناً وقوة ، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب" (أع٦: ٨) .

ووقف أمام ثلاثة مجامع وأمام الذين من كيليكيا وآسيا، يحاورونه "ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به" (أع ٦: ١٠) . لهذا رأينا أنه بعد وضع اليدعليه كشماس "كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع٦: ٧) .

هكذا كانت خدمة هذا الشماس وفاعليتها، حتى أن اليهود لم يحتملوا خدمته، فقبضوا عليه ورجموه . وفى رجمه رأى السموات مفتوحة وإبن الإنسان قائماً عن يمين الله (أع ٧: ٥٦). " ورأوا

وجهه كأنه وجه ملاك" (أع٦: ٥) .

إن الإنسان فى خدمته أمام الله، يوزن مجرداً من صفاته الخارجية وظائفه. فيوزن فى عمق عمله، وفى عمق قلبه، وفى قيمة خدمته .

خذوا مثالاً آخر : القديس مارأفرام السريانى :

وما قام به من جهد كبير فى الخدمة وفى مقاومة الأريوسية وفى دفاعه عن الإيمان، حتى قبل أن يرسم إغنسطساً (أى قارئاً) من يد القديس باسيليوس الكبير. هذه الرتبة التى يحصل عليها الآن عشرات الآلاف من خدام مدارس الأحد، والتى كان يرى نفسه غير مستحق لها .

ولكن الأغنسطس مارآفرام كان له وزنه الجبار فى الكنيسة الجامعة، حتى أسموه "قيثارة الروح القدس" وأسموه الملفان أو المعلم، فى اشعاره وكتاباته الروحية ذات التأثير أو العمق العجيب..

أترانا نقيس خدمته برتبة أغنسطس ؟! أم بأثره البارز فى خدمة الإيمان وفى التعليم، ليس فى جيله فقط، وإنما فى أجيال عديدة وحتى الآن .

خذوا مثالاً آخر : الشماس أثناسيوس فى مجمع نيقية

المسكونى المقدس .

في ذلك الوقت كان مجرد شماس ، فى أول مجمع مسكونى يظم ٣١٨ من الآباء الكبار ، بطاركة وأساقفة، يمثلون كنائس العالم كله. ولكن عمله حينذاك لم يكن يقاس برتبته كشماس، وإنما بوقوفه ضد أريوس الهرطوقى، والرد على كل أدلته، فى قوة وفى فهم عميق للكتاب والمعنى السليم لنصوصه ودلالاتها اللاهوتية ..

حتى أنه – وهو شماس – قام بصياغة قانون الإيمان المسيحى فى مجمع نيقية، القانون الذى تؤمن به كل كنائس العالم .. هنا الخدمة لم تكن تقاس بالرتبة ، وإنما بأثرها وفاعليتها .

✪ مثال آخر هو القديس سمعان الخراز .

ماذا كانت رتبته ؟! لا كاهن ، ولا شماس ، ولا حتى أغنسطس... إنما عامل بسيط ربما لا قيمة له فى المجمع، ولا وظيفة له فى الكنيسة .

ولكن قيمة خدمته كانت فى عمق عمله ، وعمق صلواته، وفى انقاذه الكنيسة كلها بمعجزة نقل الجبل المقطم أيام البابا إبرآم بن زرعة وفى حضوره. هنا نوعية الخدمة ، وليس علو الرتبة ...

✪ خذوا أيضاً مثال القديس الأنبا رويس .

لم يكن أسقفاً ولا قساً ولا شماساً ، ولم تكن له أية وظيفة رسمية في الكنيسة ، ولا أية خدمة معينة . ومع ذلك دعته الكنيسة من آبائها. وكانت له خدمات تظهر يد الله فيها بكل وضوح .

✪ كذلك يمكن أن نذكر : ابراهيم الجوهرى .

كان علمانياً ، وله وظيفة علمانية فى الدولة، أى أنه لم يكن مكرساً للرب . ومع ذلك كانت له محبته العميقة للكنيسة، وخدماته التى لا يمكن أن تنسى التى قام بها من أجل عمارة الأديرة والكنائس، وفى العناية بالفقراء باسلوب يضعه فى مرتبة الخدام، بل أنه يفوق الكثيرين منهم .

✪ مثال خارج الكنيسة القبطية هو ميشيل إنجلو .

كان فناناً . لكن خدماته في محيط الأيقونات الكنسية، سجلت له إسمه فى التاريخ وبخاصة فى كاتدرائية القديس بطرس فى الفاتيكان.

وهنا لا نسأل عن درجته الكنسية أو عن رتبته، إنما عن عمق خدمته. والناس يعرفون ميشيل أنجلو، وربما الملايين لا تعرف إسم البابا الذى عاش أنجلو فى أيامه. وإن عرفوا إسمه يقولون إنه البابا المعاصر لميشيل أنجلو..!

نقطة أخرى نذكرها فى مقاييس البشر الخاطئة بالنسبة إلى الخدمة، وهى شرف وعظمة المكان .

عظمة المكان

قد ينسبون أهمية الخادم إلى أهمية وعظمة المكان الذى يخدم فيه، كأنما خدمته تستمد قدر عظمتها من المكان، وليس من الشخص، ولا من عمق ونوعية الخدمة. والواقع غير ذلك .

✪ ومن أمثلة ذلك القديس غريغوريوس النيازينزى .

ينتسب إلى بلدة نيازينزا التى صار أسقفاً لها، وربما لا يعرف أحد تحديد مكانها بالضبط ، غير أنها كانت إحدى مدن قيصارية كبادوكية التى تتبع للقديس باسيليوس الكبير .

غير أن القديس غريغوريوس لم يستمد عظمته وشهرته من عظمة المدينة التى يخدمها، وإنما من شخصيته اللاهوتية ومحاضراته العميقة التى ألقاها عن الثالوث القدوس ، حتى أن الكنيسة منحته لقب "الناطق بالإلهيات" . إيبارشيته لم تمنحه الشهرة، إنما هو الذى منح الشهرة لبلدة نيازينزا المجهولة بالنسبة إلى الكثيرين.

✪ مثله أيضاً القديس أغريغوريوس أسقف نيصص .

وهو أخو القديس باسيليوس الكبير . وقد رسمه أخوه على نيصص، التى لا يعرف الكثيرون مكانها. ولكنها ضمن إيبارشية قيصارية كبادوكية. هى بلدة غير مشهورة، الذى سجل إسمها فى التاريخ هو أسقفها القديس غريغوريوس، الذى كتبه كثيراً ضد الأريوسيين وله تأملات كثيرة، وكتاب عن التطويبات .

لا يقل أحد إذن أن خدمتى فقدت قيمتها لأنها فى بلدة صغيرة أو فى قرية!! ولو إننى خدمت فى مدينة كبيرة، لكان لى شأن آخر!!

✪ إن السيد المسيح ولد فى قرية صغيرة هى بيت لحم "الصغرى فى يهوذا" (مت ٢: ٦) .

وانتسب إلى مدينة الناصرة ، التى كان يعجب البعض هل يخرج منها شئ صالح!! (يو ١: ٤٦). ولكنه مع ذلك أعطى الناصرة شهرة فى التاريخ. وكان يدعى "يسوع الناصرى" (مت ٢٦: ٧١). وفى نفس الوقت أيضاً منح شهرة لقرية بيت لحم، فصارت مزاراً مقدساً...

✪ خدّام آخرون يقيسون (عظمتهم) فى الخدمة بطول مدة هذه الخدمة. ويعتبرون هذا نوط تقدير للخدمة !

طول مُدة الخدمة

البعض يقيس قوة الخادم بطول مدة خدمته. ومن هنا جاء تعبير (الخدام القدامى). وفى الحقيقة ليس هذا مقياساً سليماً. فقد يوجد خدّام لهم مدة أقصر من غيرهم، ولكنها أكثر إنتاجاً وأعظم أثراً .

✪ **يوحنا المعمدان : خدم سنة أو سنتين بالأكثر .**

ولكنه استطاع خلال تلك الفترة القصيرة أن يهيئ الطريق أمام الرب، ويعدّ له شعباً مستعداً ويتقدم أمام بروح إيليا وقوته (لو١: ١٧).

✪ **والسيد المسيح نفسه كانت خدمته تجسده قصيرة !**

حوالى ثلاث سنوات وثلث ، قال عنها للآب: العمل الذى أعطيته قد أكملته (يو١٧: ٤). وقال عنها أيضاً "أنا مجدتك على الأرض".. أتم الفداء، والتعليم، وقدم القدوة ، وصحح الأخطاء، وأعاد الصورة الإلهية للناس .

✪ **البابا كيرلس الرابع ، مدة حبريته أقل من ٨ سنوات .**

ومع ذلك منحته الكنيسة عن هذه الفترة لقب (أبو الإصلاح) من اجل عمق الخدمة التى قدمها .

ويعوزنا الوقت إن تكلمنا عن بعض الآباء الكهنة :

✪ القس منسى يوحنا كاهن ملوى مثلاً :

تنيح وعمره ٣٠ سنة . واستطاع في تلك الفترة أن يقدم آلاف من العظات ، وكتاب يسوع المصلوب، وطريق السماء، وتاريخ الكنيسة الذى ألفه وهو شماس. وكان له تأثير روحى واسع النطاق على الرغم من قصر مدة خدمته .

✪ والقس أنطونيوس باقى خادم كوينز :

وهو أول كاهن أرسلته إلى أمريكا سنة ١٩٧٢ . لم يخدم فى أمريكا سوى خمسة أشهر. ولكن خدمته توجت بعبارة قالها له الشعب هناك: لقد عرفنا الرب يوم عرفناك ...

الخدمة إذن لا تقاس بطول مدتها، وإنما بعمقها ...

✪ وقد يأتى إنسان إلى كنيسة كضيف ويلقى عظة .

وتكون هذه هى كل خدمته فى هذه الكنيسة . وتمر سنوات طويلة، والناس لا ينسون تلك العظة وتأثيرها . بينما يخدم غيره فى نفس الكنيسة سنوات طويلة يلقون خلالها عظات عديدة، ولكن ليس بنفس التأثير .

إن يوماً واحداً يخدمه بولس الرسول، لهو أعظم وأعمق من

سنوات طويلة يخدمها آخرون .

✪ **مقياس آخر يقيس به البعض نجاح الخدمة وهو :**

كثرة المخدومين

كما تتميز عظة قائد فى جيش، بأنه قائد مائة أو قائد ألف. وهكذا كلما زاد عدد المخدومين، يعتبرون هذا دليلاً على نجاحها ونموها. وقد يكون الأمر كذلك فعلاً، ولكنه ليس مقياساً ثابتاً بصفة مطلقة ...

فليس نجاح الخدمة فى كثرة عدد المخدومين، وإنما فى الذين غيرت الخدمة حياتهم، وأوصلتهم إلى الله ...

✪ السيد المسيح كان يعظ الآلاف كما فى الخدمة الروحية التى سبقت معجزة الخمس خبزات والسمكتين. وكانت له خدمة أخرى مركزة فى الإثنى عشر، وكانوا أهم من تلك الآلاف بكثير، بل هم الذين جذبوا إلى الإيمان مدناً وأقطاراً فيما بعد .

وجميل قول الكتاب فى نجاح خدمة هؤلاء :

" وكان الرب فى كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون " (أع٢: ٤٧) .

إذن ليس نجاح الخدمة فى عدد الذين يسمعون، إنما فى عدد الذين يقبلون الكلمة بفرح، وتثمر فيهم، وتقودهم إلى التوبة، وإلى حياة القداسة والكمال .

ومن هنا كنا ننادى بفصول مدارس الأحد المحدودة العدد، التى يستطيع فيها المدرس أن يهتم بكل تلميذ ، ويخدمه خدمة حقيقية ناجحة، ويفتقده ويرعاه .

وبنفس الوضع عملنا على تقسيم الإيبارشيات إلى مناطق محدودة يستطيع الأسقف أن يرعاها ويزورها، ويهتم بكل مدينة فيها وكل قرية، ولا تضيع تلك المدن والقرى وسط المسئوليات الضخمة التى كان يكلف فيها المطران برعاية بضع محافظات !!

وقد ارانا الرب بأمثلة عديدة أهمها العناية بالفرد الواحد فى الخدمة، كما فعل مع زكا (لو١٩) وأيضاً مع نيقوديموس (يو٣) ومع المولود أعمى (يو٩) وغيرهم ...

✪ **البعض يضع مقياساً آخر لنجاح الخدمة هو :**

كثرة الإنتاج

كالقيام بعدد كبير من الخدمات ، أو إنشاء عدد كبير من فروع

الخدمة، أو من الأنشطة ...

وقد يتوه فى كل ذلك ، ولا يحسن الإشراف على كل تلك الأنشطة، أو يضطر إلى تعيين عدد من الخدام بغير إعداد. وتفقد الخدمة روحياتها بكثرة إتساعها وقلة عمقها ...

إذن ما هى المقاييس السليمة لتقييم الخدمة ؟

وما هى عناصر القوة فى الخدمة ؟

عناصر القوة فى الخدمة

أهمية الخدمة هى ما فيها من قوة ومن عمق، وما فيها من حب وبذل. ما فيها من تأثير، ومن تغيير للناس. وليس الأمر مسألة ضخامة المسئوليات، أو شهرة المكان، أو كثرة المخدومين، أو طول مدة الخدمة، وسائر هذه الأمور الجانبية ...

وسنحاول هنا أن نتناول بالتفصيل بعض نواحى القوة فى الخدمة، فنذكر منها :

الكلمة المؤثرة

ظهرت هذه فى خدمة السيد المسيح له المجد :

✪ انظروا دعوة متى الإنجيلى مثلاً: يقول الكتاب "وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالساً عند مكان الجباية، فقال له اتبعنى. فقام وتبعه" (مر٢: ١٤) (مت٩: ٩) ... إنها مجرد كلمة قالها لإنسان جالساً فى موضع مسئولية مالية. قالها الرب له، فترك مسئوليته ، وقام وتبعه ، دون أن يسأل إلى أين ؟

✪ **ونفس قوة الكلمة وتأثيرها فى الدعوة ... ظهرت فى دعوة الرسل الأربعة الصيادين .**

يسجل ذلك القديس مرقس الإنجيلى فيقول " وفيما هو يمشى عند بحر الجليل، أبصر سمعان وإندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر - فإنهما كانا صيادين - فقال لهما يسوع هلمّ ورائى فأجعلكما تصيران صيادى الناس. فللوقت تركا شباكهما وتبعاه. ثم اجتاز من هناك قليلاً، فرأى يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه ، وهما فى السفينة يصلحان الشباك، فدعاهما للوقت، فتركا أباهما زبدى فى السفينة مع الأجراء، وذهبا وراءه " (مر١: ١٦ – ٢٠) .

بتأثير قوة الدعوة ، تركوا كل شئ، وللوقت ...

أى بدون تردد ، وبدون إبطاء، وبدون جدال، تركوا السفينة والشباك والأب ، ومصدر الرزق. بل قال بطرس للرب ملخصاً كل ذلك " .. تركنا كل شئ وتبعناك" (مت ١٩: ٢٧).. ذلك لأن كلمة الدعوة كانت لها قوتها، فحدثت الإستجابة لها بسرعة، لأنها اخترقت القلب والفكر والإرادة .

✪ وكما كانت قوة الكلمة فى الدعوة ، كانت للسيد أيضاً قوته فى الوعظ والتعليم .

لما أكمل عظته على الجبل، قيل عنه "بهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يكلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة " (مت ٧: ٢٨،٢٩). وقيلت نفس العبارة عن تعليمه فى كفر ناحوم "فبهتوا من تعليمه، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة " (مر١: ٢٢) .

✪ وكانت له قوة الكلمة فى إقناعه من يحاورهم :

إنه المنطق العجيب والدليل القوى الذى شرح به للكتبة والفريسيين جواز فعل الخير فى السبوت (مت ١٢: ١-١٢). وكذلك فى موضوع القيامة، قيل إنه "أبكم الصدوقيين" (مت٢٢: ٣٤). وبعد ردوده القوية على الناموسيين والفريسيين، قيل "فلم

يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة " (مت٢٢: ٤٦) .

✪ والكلمة كان لها تأثيرها أيضاً فى عاطفيتها وحبها :

مثل قوله لزكا العشار "أسرع وانزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك" (لو١٩: ٥) ... كلمة فى عمق محبتها وتواضعها قادت ذلك الرجل الخاطئ إلى التوبة، فقال "ها أنا يارب اعطى نصف أموالى للمساكين. وإن كنت قد وشيت بأحد، أرد أربعة أضعاف" ... وهكذا بكلمة من الرب لها قوتها، حدث خلاص لذلك البيت .

✪إن قوة الكلمة المؤثرة نراها أيضاً فى خدمة آبائنا الرسل .

عظة واحدة ألقاها بطرس الرسول فى يوم الخمسين، كانت نتيجتها أن اليهود نخسوا فى قلوبهم، وانضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف نفس، واعتمدوا جميعهم (أع٢: ٣٧– ٤١). وقبلوا ذلك بفرح .

وقوة الكلمة تظهر فى خدمة بولس الرسول أيضاً. حتى أنه وهو أسير يُحاكم أمام فيلكس الوالى، "بينما يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة، ارتعب فيلكس الوالى" (أع٢٤: ٢٥). وفى محاكمته أمام أغريباس الملك، قال له ذلك الملك "بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً " (أع ٢٦: ٢٨) .

فـتـوة الـبـذل

البعض قد يستريح للخدمة السهلة التى لا تعب فيها ولا صعوبة. ولكن قوة الخدمة تظهر فى صعوبتها واحتمال هذه الصعوبة، بكل بذل وفرح ...

مثال ذلك خدمة القديس بولس الرسول "تعب وكدّ، فى أسهار مراراً كثيرة، فى جوع وعطش ... فى برد وعرى ... بأسفار مراراً كثيرة، بأخطار سيول، بأخطار لصوص، بأخطار فى المدينة، بأخطار فى البرية، بأخطار فى البحر ..." (٢كو١١: ٢٧، ٢٦) "فى صبر كثير، فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات، فى ضربات فى سجون، فى اضطرابات فى أتعاب، فى أسهار فى أصوام" (٢كو٦: ٤،٥).

ومع ذلك يقول : "كحزانى ونحن دائماً فرحون" (٢كو٦: ١٠).

الخدمة الروحية تعب من أجل الرب وملكوته، وهى جهاد وتعب من أجل خلاص النفس. وقيل عنها:

" كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨) .

وهكذا كانت خدمة الآباء الرسل. بدأت وسط اضطهادات

الرومان، ودسائس اليهود، ومعارضة وشكوك الفلاسفة الوثنيين، وعذابات الإستشهاد، وفى أماكن جديدة، لا مؤمنون فيها ولا كنائس ولا أية إمكانيات ... وبلا كيس ولا مزود .

وكمثال لذلك : خدمة القديس مارمرقس الرسول :

دخل الأسكندرية ، فقيراً بحذاء ممزق، حيث لا مسيحيون هناك، ولا كنائس ، بل توجد ديانات عديدة: منها آلهة الرومان بقيادة جوبتر، وآلهة اليونان بقيادة زيوس، والعبادات الفرعونية بقيادة آمون ورع، وكذلك اليهودية فى إثنين من أحياء الأسكندرية . ومكتبة الأسكندرية الحافلة بمئات الآلاف من كتب الوثنيين.. وعدم وجود أية إمكانيت على الإطلاق . ولكن مارمرقس صبر وجاهد، حتى حول الجميع إلى مسيحيين .

ماذا نقول أيضاً عن الذين بشروا فى بلاد أهلها من أكلة لحوم البشر ؟!

إن الخدمة التى يبذل فيها الإنسان ويتعب، هى الخدمة الحقيقية ومقياس التعب والبذل، هو مقياس أساسى فى الخدمة ...

مثال ذلك خادم يتعب ويحتمل من أجل تهذيب تلميذ مشاكس فى فصل، أو أم تتعب فى تربية إبن عنيد، أو كاهن يتعب فى خدمة أو

فى رعاية الحالات الصعبة، أو فى المشاكل العائلية المعقدة .

مقياس آخر للخدمة هو عنصر العمق :

عنصر العمق

✪ أعمال عظيمة قام بها أنبياء ورسل فى خدمة. ولكن لا يوجد واحد منها يوازى طاعة أبينا إبراهيم فى ذهابه لتقديم إبنه الوحيد محرقة للرب ... (تك ٢٢) .

هنا عمق معين يعطى لعمله وزناً خاصاً وقيمة ليست لأى عمل آخر. هنا إيمان وبذل، ومحبة نحو الله أكثر من محبته للإبن الوحيد إبن المواعيد ...

✪ وكثيرون قدموا عطايا مالية لبيت الله . ولكن فاقت كل هؤلاء الأرملة التى ألقت الفلسين فى الصندوق. وعمق عطائها أنه كان من أعوازها (لو٢١: ٤) .

✪ وما أكثر الذين حاربوا حروب الرب بقوة وانتصروا. ولكن فاق كل هؤلاء تقدم الصبى داود بحصاة فى مقلاعه ليحارب بها جليات الجبار الذى أخاف الجيش كله ... لقد كان فى تقدمه للمحاربة إيمان عميق بأن الحرب للرب، والله هو الذى سيدفع ذلك

الجبار إلى يديه (اصم ١٦) .

✪ إنك قد تلقى مائة درس فى مدارس الأحد. ولكن كلها لا تكون عند الله مثل مرة واحدة كنت فيها مريضاً ومرهقاً، ومع ذلك لم تستسلم لهذا العذر، وذهبت إلى الخدمة مفضلاً الخدمة على نفسك... أو أنك ذهبت لتخدم فى إيام إمتحان، وأنت محتاج إلى كل دقيقة من وقتك ... هنا للخدمة عمق خاص .

إن الله لا يقيس الخدمة بكثرتها ، وإنما بعمقها ونوعيتها. هناك مقياس آخر لعمق الخدمة هو:

الخدمة فى الخفاء

الخدمة المخفاة تكون أعمق من الخدمة الظاهرة. الخدمة الظاهرة قد ينال منها الخادم شهرة أو مديحاً. وهكذا لا تكون كلها للمخدومين أو لله كما هو الحال فى الخدمة المخفاة .

ومع ذلك فالخدمة الخفية قد تكون أقوى .

إن الناس يعجبون بالبناء الشاهق الجميل فى منظره وفى هندسته. ولا يتحدثون إطلاقاً عن الأساس القوى المخفى تحت الأرض، الذى يحمل هذا البناء كله، ويعمل عمله فى خفاء .

والناس يعجبون بلمبات الإنارة التى تبهرهم بضوئها. ولا يفكر أحد فى المولد الكهربائى الذى يغذى هذه اللمبات بالنور، والذى لولاه ما كانت تضئ. ويقيناً هو العنصر الأقوى والأساسى .

وبنفس الأسلوب قد يعجب الناس بالسيارة الفخمة فى منظرها الخارجى، أما الموتور القوى الذى يحركها فلا يفكر فيه أحد، لكنه يعمل عمله فى خفاء .

وهكذا فى الخدمة ، قد يعجب الناس بنجاحها وبمجهود الخادم فيها. ولا أحد يفكر فى الصلوات التى رُفعت من أجلها، وكانت السبب فى نجاحها... هذه الصلوات هى الخدمة الخفية القوية .

كلنا نذكر سفر لعازر الدمشقى للحصول على زوجة مؤمنة لاسحق ابن سيده إبراهيم، وكيف نجح فى مهمته، وعاد معه برفقة. ولكن من يذكر صلوات إبراهيم التى رفعت من أجل لعازر الدمشقى، وكانت السبب فى نجاحه. ولذلك قال ذلك العبد الأمين لأهل رفقة "لا تعوقونى والرب قد أنجح طريقى" (تك٢٤: ٥٦). وكيف أنجح الرب طريقه؟ كان ذلك بدعاء إبراهيم الذى قال له "إن الرب الذى سرت أمامه، يرسل ملاكه معك وينجح طريقك" (تك٢٤: ٤٠) .

حقاً إن الصلاة هى خدمة مخفاة .

وهكذا قال القديس بولس الرسول لأهل أفسس "مصلين بكل صلاة وطلبة.. لأجل جميع القديسين ولأجلى، لكى يُعطى لى كلام عند إفتتاح فمى " (أف ٦: ١٨، ١٩) .

كلام الواعظ هو الخدمة الظاهرة . أما أمثال صلاة أهل أفسس فهى خدمة مخفاة. يضاف إليها فى أيامنا ، خدمة الإفتقاد التى تأتى بسامعين يسمعون العظة ... وكذلك خدمة كل الذين يرتبون للاجتماع وينظمونه ...

الإجتماعات العامة خدمة ظاهرة . ولكن تقبل الإعترافات وقيادة الخطاة إلى التوبة هى خدمة مخفاة ...

وقد يوجد فى إحدى الكنائس كاهنان : أحدهما يعظ ويحضر الكثيرون لسماعه، وخدمته ظاهرة للكل. بينما زميله الآخر ليست له اجتماعات للوعظ. ولكنه يقضى الساعات الطويلة يستمع إلى الإعترافات ، ويقود المعترفين إلى التوبة، ويرشدهم ، ويصلى لأجلهم. وخدمته هذه عميقة الأثر جداً ... وهكذا كان القمص ميخائيل إبراهيم ...

وربما من أمثلة الخدمة المخفاة : العمل الفردى :

العمـل الفـردى

إن خدمة المجموعات الكبيرة لها صفة العمومية . وقد تحدث تـأثيراً عامـاً ، لا تتلـوه متابعـة ... أمـا الخدمـة الفرديـة، ففيهـا التخصص، وفيها المتابعة . وهذا أعمق .

انتقل الآن إلى خدمة أخرى هى :

الخـدمـة الصـامتـة

واعنى بها خدمة القدوة . وهى خدمة عملية .

وليس فيه الحديث عن الفضيلة والقداسة، وإنما تقديم النموذج أو المثال العملى لها، بدون شرح أو كلام. وهـى خدمـة أكثر عمقاً، حتى إن كان صاحبها لا يُحسب بين الخدام. إنه ليس واعظاً، ولكنـه هو نفسه العظـة، يتعلم النـاس من حياتـه لا من كلماتـه. وإن تكلم يتعلمون منه أسلوب الكلام الروحى ..

يذكرنى هذا النوع من الخدمة بأحد الآبـاء الذى لم يطلب من القديس الأنبا أنطونيوس كلمة منفعة ، وإنما قال لـه "يكفينـى مجرد

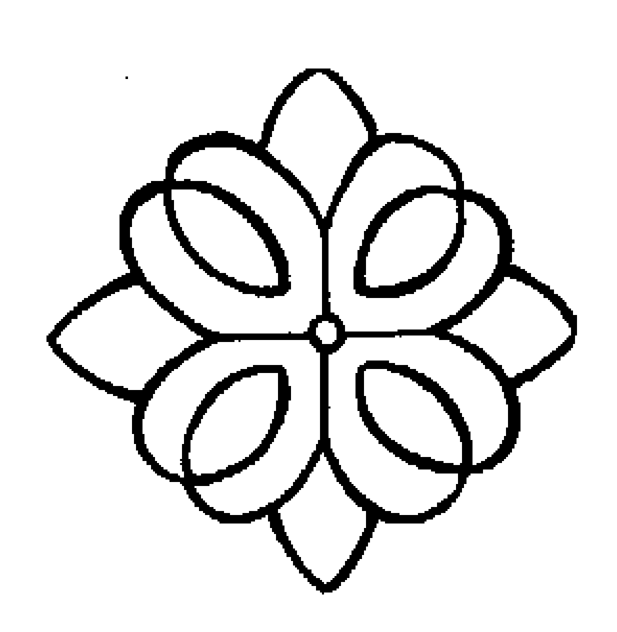
النظر إلى وجهك يا أبى .."

ولعله من هذا النوع تنبثق خدمة أخرى هى :

خدمة البركة

كما قال الرب لأبينا إبرآم حينما دعاه "أباركك وتكون بركة" (تك١٢: ٢) .

وهكذا نجد أن يوسف الصديق كان بركة فى أرض مصر، وكان بركة من قبل فى بيت فوطيفار. وكان إيليا النبى بركة فى بيت أرملة صرفة صيدا. وكان أليشع النبى بركة فى بيت الشونمية...





٥- الخادم الروحي

هناك سؤال يجول فى نفسى وفى أعماقى : أحقاً نحن خدامُ ؟

سهل أن يرتئى الواحد منا فوق ما ينبغى (رو١٢ : ٣) ويظن أنه خادم لله !! بينما الخدمة فى أعماقها الروحية لها مقاييس عالية، ربما نحن لم نصل إليها .. أو ربما نكون قد بدأنا كخدام روحيين ، ولكننا لم نحتفظ بهذا الطابع طول الطريق . فلنبحث إذن معاً : من هو الخادم ؟

الخادم الروحى هو لحن جميل فى سمع الكنيسة ، وأيقونه طاهرة يتبارك بها كل من يراها . وهو سلّم يصل إلى السماء دائماً ، يصعد عليه تلاميذه إلى فوق .

هو جسر ينقل غيره من شاطئ العالميات إلى شاطئ الروحيات، أو ينقلهم من الزمن إلى الأبدية . هو صوت الله إلى الناس . وليس صوتاً بشرياً، بل هو فم يتكلم منه الله ، ينتقل إلى الناس كلمة الله.

الخادم الروحى هو نعمة ألهية أرسلت من السماء إلى الأرض.. هو زيارة من زيارات النعمة ، يفتقد بها الله بعضاً من شعبه ..

يقدم لهم مذاقة الملكوت وطعم الحياة الحقيقية .

الخادم الروحى هو إنجيل متجسد ، أو هو كنيسة متحركة

هوصورة الله أمام تلاميذه . هو نموذج للمثل العليا ، وقدوة للعمل الصالح ، ووسيلة إيضاح لكل الفضائل .

الخادم الروحى يشعر بالدوام أنه فى حضرة الله . وتكون الخدمة بالنسبة إليه كمذبح مقدس ، وعمله فيها رائحة بخور .

مهمة الخادم الروحى هى إدخال الله فى الخدمة . وهو يردد فى قلبه قول المرتل فى المزمور " إن لم يبنى الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون " (مز١٢٦: ١)

الخادم الروحى له بإستمرار شعور الأنسحاق وعدم الإستحقاق

يشعر أنه فوق مستواه أن يعمل على إعداد قديسين ، وأن يهيئ للرب شعباً مبرراً (لو١: ٧) ، مدركاً تماماً أن تخليص النفوس البشرية أمر أعلى منه . إنه عمل الله . وإن اشتراكه مع الله فى العمل ، وشركته مع الروح القدس فى بناء الملكوت وفى تطهير القلوب ، كلها أمور لا يستحقها . ولكنه على الرغم من شعوره بعدم الإستحقاق ، فلا يهرب من الخدمة ، بل يدفعه هذا الشعور إلى مزيد من الصلاة ، حيث يقول للرب بإستمرار :

هذه الخدمة يارب هى عملك وليس عملى . وأنت لابد ستعمل بى أو بغيرى . **وأنا مجرد متفرج : أتأمل عملك وأفرح وأسر** (يو٣: ٢٩) .

حقاً " ليس الغارس شيئاً ، ولا الساقى شيئاً . لكن الله الذى ينمى" (١كو٣: ٧). فأعمل يارب عملك ، وفرّح قلوب أولادك ولا تمنع عنهم نعمة روحك القدوس بسبب أخطائى او ضعفاتى أو تقصيرى.

وهكذا بلجاجته فى الطلب ، ينال الخادم نعمة من الله . وعندما تنجح الخدمة ، يعطى مجداً للرب الذى عمل العمل كله .

الخادم الروحى هو بإستمرار رجل صلاة :

بالصلاة يخدم أولاده . وبالصلاة يحل مشاكل الخدمة . وتكون الصلاة بالنسبة إليه كالنفس الداخل والخارج ، كما قال الآباء ...

بعض الخدام يظنون أن غاية الإخلاص للخدمة، هى أن يعملوا... أما الخادم الروحى فيرى أن غاية الإتقان هى أن يعمل الله .. ليس معنى هذا أن يكسل ولا يعمل !! كلا ، بل هو يعمل بكل جد وبكل بذل ، ولكن ليس هو ، بل الله الذى يعمل فيه . كما قال القديس بولس الرسول : " لكن لا أنا ، بل نعمة الله التى معى"

(اكو ١٥ : ١٠) .. وكما قال أيضاً " لكى أحيا لا أنا ، بل المسيح الذى يحيا فىّ " (غل ٢: ٢٠) .

الخادم الروحى هو شعلة متقدة بالنار :

هو غيرة ملتهبة لخلاص النفس . يقول مع داود النبى " لا أدخل إلى مسكن بيتى ، ولا أصعد على سرير فراشى ، ولا أعطى لعينى نوماً ، ولا لأجفانى نعاساً ... إلى أن أجد موضعاً للرب (فى قلب كل أحد) [مز ١٣١] .

الخادم الروحى هو رائحة المسيح الذكية (٢كو ٢ : ١٥)

يشتم منه الناس رائحة المسيح ، لأنه رسالته المقروءة من جميع الناس .. هو محرقة رائحة سرور للرب (لا ١) ، تشتعل فيهاالنار الإلهية ، نار تتقد ولا تطفأ ، حتى تحولها إلى رماد ..

الخادم الروحى هو حركة دائبة دائمة متجهة نحو الله :

أو هو حركة داخل قلب الله ، بسبب حركة إلهية داخل قلبه .. إنه يتعب دائماً لأجل راحة الآخرين . وراحته الحقيقية فى أن يوصل كل إنسان إلى قلب الله ... هو شمعة تنير لكل من هو فى مجال نورها . وقد تذوب ... حرارة ونوراً وحباً .. لكى يستضئ الناس بها، ولكى يتحقق قول الرب " أنتم نور العالم" (مت٥: ١٤).

الخادم الروحى هو انسان دائم الصراع مع الله

يجاهد مع الثالوث القدوس ، من أجل نفسه ومن أجل الناس لكى يأخذ منه وعداً لأجل المخدومين، حتى تصير أنفسهم ناجحة (٣يو٢) ومقبولة أمام الله ...

الخادم الروحى هو روح ، وليس مجرد عقل

ليس مجرد مدرس ، ولا مجرد حامل معلومات ينقلها إلى الناس .. بل هو روح كبيرة إتحدت مع الله ، وإختبرت الحياة معه، وذاقت ما أطيب الرب . وتريد أن تنقل هذه الحياة إلى غيرها.. تنقلها بالمشاعر ، بالمثال الحى ، بالقدوة الصالحة ، بالصلاة والإبتهال لأجل المخدومين .

إنه لا يلقى دروساً ، بل هو نفسه الدرس :

إنه العظة قبل أن يكون واعظاً..إنه يدرك أن تحضير الدرس أو العظة ليس مجرد تحضير المعلومات، إنما هو تحضير ذاته، لتكون صالحة لعمل الروح فيه .. يذكر بإستمرار قول الرب " من أجلهم أقدس أنا ذاتى ، لكى يكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق " (يو١٧: ١٩) ويضع أمامه العبارة التى قالها القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف " لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك. لأنك

إن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً (تى٤: ١٦) .

الخادم الروحى لا يحتاج تلاميذه إلى إفتقاد :

لأنهم من تلقاء ذاتهم يشتهون درسه إشتهاء . وعندما يرونه فى الكنيسة ، يكونون كمن وجد غنائم كثيرة . أنهم ينتفعون من منظره ومن معاملاته ، كما ينتفعون من كلامه وربما أكثر . كما أنه يستطيع أن يربطهم بالحب برباط قوى يجذبهم بشدة إلى الله وإلى الكنيسة . إن درسه شهوة لنفوسهم ولأرواحهم ولقلوبهم ولعقولهم

الخادم الروحى يحب تلاميذه ، ويحب خلاص نفوسهم :

محبته لهم هى جزء من محبته لله وملكوته . وهو يحبهم كما أحب المسيح تلاميذه وقيل عنه إنه " أحب خاصته الذين فى العالم. أحبهم حتى المنتهى " (يو ١٣ : ١) .

الخادم الروحى يحب الله من كل قلبه . ويريد أن تلاميذه يحبون الله مثله . فإن أحبوا الله تزداد محبته لهم إعجاباً بروحهم . وإن سقط بعضهم ، تزداد محبته لهم إشفاقاً عليهم وسعياً لإنقاذهم .. وبهذا الحب كله ، يعطيهم صورة مشرقة عن الدين وعن الله .

الخادم الروحى ، أولاده روحيون مثله :

لأنه يربيهم فى حياة الروح ، فيكونون على شبهه ومثاله .

وعلى نفس القياس : الخادم الإجتماعى أولاده إجتماعيين . والخادم العقلانى الذى لايهتم إلا بالعلم ، يكون أولاده مجرد كتب تحمل معلومات ... ما أصدق قول الكتاب فى قصة الخليقة ، إن الله خلق " شجراً ذا ثمر ، يعمل ثمراً كجنسه .. شجراً يعمل ثمراً ، بذره فيه كجنسه" (تك١: ١١، ١٢) إن كان الأمر هكذا ، فلنحترس نحن كيف نكون ... لأنه على شبهنا ومثالنا سيكون أولادنا .

الخادم الروحى يشعر أن أولاده أمانه فى عنقه :

سيعطى عنهم حساباً أمام الله فى يوم الدين . أنهم أولاد الله وقد تركهم فى يديه ليقوم بخدمتهم " ويعطيهم طعامهم فى حينه " (لو١٢: ٤٢) .. لذلك هو يعمل على الدوام بخوف الله ، شاعراً بمسئوليته .

أريد من كل خادم أن يسأل نفسه عن ثلاثة أمور : روحانية خدمته ، و روحانية حياته ، و روحانية أولاده ..

روحانية حياته من أجل ابديته وخلاص نفسه ، وبسبب تأثير حياته على مخدوميه . وروحانية خدمته حتى تكون ذات تأثير مثمر فى إيجاد جيل روحانى . أما عن روحانية أولاده فتحتاج منه إلى جهد وصبر وطول أناة .

الخادم الروحى يطيل باله جداً ، حتى تنبت بذوره وتنمو :

وحتى تخضر وتزهر وتثمر .. ولا يضيق صدره ولا ييأس إن تأخر إنباتها أو إثمارها ... إنما يجاهد على قدر ما يستطيع ، ويشرك الله معه ، ويضع أمامه قول الرسول " يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء " (رو١٥ : ١) .

إن بعض النفوس لا تعطى ثمراً سريعاً . وبعضها لا يستطيع أن يتخلص من أخطائه بسرعة . وهؤلاء وأولئك يحتاجون إلى من يطيل روحه عليهم حتى يخلصوا ... كما يطيل الله أناته علينا ، ليقتادنا إلى التوبة (رو ٢: ٤) .

قال القديس يوحنا ذهبى الفم : إن كان الجنين الجسدى يحتاج إلى شهور طويلة إلى أن يتكامل نموه ويخرج ، فلنصبر إذن على الجنين الروحى حتى يكمل نموه .

الخادم الروحى هو مغناطيس شديد الجاذبية :

كل من يدخل فى مجاله ، ينجذب إلى حياة الروح ، وتكون له القدرة على جذب غيره أيضاً إلى نفس المجال الروحى .

إنه يجذب الناس إلى أبوة الله وأمومة الكنيسة ، بكل ماتحمل من مشاعر الحنان والعطف وكل أساليب الرعاية والأهتمام .. وهكذا

يلتصقون بالله المحب ، ويرتوون بلبن التعليم من الكنيسة ..

الخادم الروحي له كلمة الله الحية الفعالة (عب ٤ : ١٢)

هذه التي تترك تأثيرها في السامعين ، ولا ترجع فارغة (أش٥٥: ١١) إنه يشع على الآخرين نوراً . وكل من يختلط به يستنير ، ويأخذ شيئاً إلهياً .. إنه بركة تتدفق على كل أحد ، ليس في الكنيسة فقط ، وإنما أيضاً في البيت ومكان العمل وفي الطريق. هو خادم أينما وُجد .. الخدمة عنده لا يحدها مكان ولا زمان (٢تي٤: ٥) ولا رسميات إنما روح الخدمة عنده تجعله يخدم كل من يصادفه أو يختلط به .. ليس هدفه أن يكون مدرساً ناجحاً ، فربما يكون هذا تركيزاً على الذات .

إنما كل إهتمامه هو خلاص أنفس مخدوميه :

إنه ينسى ذاته من فرط تفكيره فيهم . ويقول كما قال القديس بولس الرسول " كنت أود لو أكون أنا نفسي مرفوضاً من المسيح ، من أجل أخوتي وأنسبائي حسب الجسد " (رو ٩ : ٣) .

الخادم الروحي يجاهد بإستمرار مع الله من أجل أولاده

يسكب نفسه أمام الله في خدمته ، لكي يقود الله الخدمة .. لكي يعطيه الرب الغذاء الروحي اللازم له ولمخدوميه ، ويعطيهم القوة

للسير فى طريق الرب.. ويظل يبلل قدمى الله بدموعه ، إلى أن ينال منه إستجابه صلواته لخير هؤلاء .

وفى كل ذلك هو انسان فدائى ، يفتدى غيره بنفسه وبراحته .

الخادم الروحى هو انسان أمين، يتعب بكل جهده فى الخدمة :

يضع أمامه بإستمرار قول الكتاب " ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة " (أر٤٨: ١٠) .

فهو يتعب لكى يستحق أن يعمل الله معه . يتعب لكى ينظر الله إلى ذله وتعبه ، فيعمل عنه العمل كله . وهكذا يستجيب الرب صلوات الآباء الكهنة ، وهم يقولون له متضرعين " اشترك فى العمل مع عبيدك .. "

الخادم الروحى لا يعمل بقدراته الخاصة ، إنما بمواهب الروح القدس العامل فيه :

هو مجرد أداة يحركها الروح فى خدمة الملكوت . إنه يعيش على الدوام فى شركة الروح القدس . الروح القدس يعمل فيه ، ويعمل به ، ويعمل معه .

إنه انسان إمتلاء بالروح . إن تكلّم لا يكون هو المتكلم ، وإنما روح ابيه يتكلم فيه (مت١٠: ٢٠) .. هكذا عمل تلاميذ المسيح

كخدام للكلمة . فكانت لكلماتهم قوتها وثمارها ...

الخادم الروحي ينمو بإستمرار في محبة ربنا يسوع المسيح . وبإستمرار يكون مستواه أعلى من تلاميذه بكثير . بل فيما هو ينمو في حياة الروح ، ينمو تلاميذه معه في المعرفة وفي المحبة والارتباط بالله ..

إنه ليس إنساناً يتدرب على حياة التوبة ، بل هو يتدرب على حياة الكمال:

وكلما ينمو يزداد إتضاعاً ، شاعراً أن الطريق طويل قدامه ، أطول بكثير من قدرة خطواته . لذلك يشعر في كل حين بإحتياجه المستمر إلى الله .

الخادم الروحي يهدف إلى روحانية أولاده :

ولذلك فدروسه دسمة وعملية وتقربهم إلى الله . وهم يثقون بكلامه، كأنه كلام الله. لأنهم يوقنون أنه يأخذ من الله ويعطيهم. بعكس الخدام الذين فقدوا روحياتهم ، وأصبحت لهم مجرد صورة التقوى .. لا قوتها .

الخادم الروحي لا يترك أمور العالم تشغله عن روحياته :

وإذا إستمر في التركيز على ما فيه خلاص نفسه ، فقد ينتهي به

الأمر إلى التفرغ الكامل لخدمة الرب ، أعنى حياة التكريس .

الخادم الروحى لا يشعر فى خدمته أنه يعطى :

بل أنه بإستمرار – فى كل مرة يذهب إلى الخدمة – يشعر أنه يأخذ شيئاً جديداً من الله اثناء خدمته . ويرى أن الخدمة تعطيه أكثر مما يعطيها . إن الخدمة بالنسبة إليه واسطة من وسائط النعمة ، تقويه وتسنده ، وتقدم له وسطاً روحياً يلزمه بإستمرار أن يعيش فيه. كما تعطيه حياة الحرص والتدقيق والبعد عن العثرة .

الخادم الروحى يحيا أثناء خدمته حياة التلمذة :

لا يظن أن تلمذته قد إنتهت بتعيينه خادماً فى مدارس الأحد ، أو بدء عمله كواعظ أو كمعلم ، إنما يستمر حياته كلها فى التلمذه.. فى كل يوم يتعلم شيئاً جديداً ، ويختبر شيئاً جديداً . ومن واقع خبراته يكلّم مخدوميه ..

إنه انسان عاش مع الله ، وأختبر الطريق الموصل لله :

وهو يحكى للناس هذا الطريق الذى اختبره وسار فيه زماناً ، وعرف علاماته وحروبه ومطباته ، وبركاته أيضاً ، ويد الله العاملة فيه ـ يحكى كل ذلك بطريقة موضوعية بعيدة عن الذات ...

حياة التلمذة عند الخادم الروحى هى موضوع طويل ، ربما

أعرض له بتفصيل أكثر ، حينما أتحدث عن التواضع فى الخدمة...

الخادم الروحي هو انسان بعيد عن [الذات] ..

ذاته لا تشغله ، ولا تحرك طريقه فى الخدمة .. إنه إنسان روحى لا تعنيه ذاته ، لقد مات عنها منذ زمن وأصبح كل تفكيره فى ملكوت الله، فى روحيات تلاميذه، وفى إراحة الناس وخدمتهم..

إنه انسان أتحدت مشيئته بمشيئة الله :

كل مشيئته أن يحقق مشيئة الرب في الوجود . ومشيئة الله هى أن "جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون" (١تى٢: ٤). لذا هو يعمل مع الله فى هذا المجال ، وليست له مشيئة خاصة . إنه يسعى إلى تحقيق المشيئة الإلهية فى نفسه وفى أولاده .. يعمل فى ذلك بكل مشاعره ، وكل إرادته وكل القوة الممنوحة له .

ملكوت الله هو شغله الشاغل ، يلهج فيه نهاراً وليلاً:

يشعر بمقدار المسئولية الملقاة عليه . وبأهمية النفوس التى تركها الله أمانه فى يديه ، سيعطى عنها حساباً أمام الديان العادل.. لذلك هو يسلك فى خدمته بكل أمانة وجدية ، ليس فقط من أجل تلك المسئوليه عن مخدوميه ، بل بالأكثر بسبب محبته لهم وإهتمامه بهم.

الخادم الروحى هو قلب كبير ، يتسع للكل ، ولايضيق بأحد :

هو وكيل أمين حكيم ، أوكله الله على أولاده ، لكى يعطيهم طعامهم فى حينه (لو١٢: ٤٢). ينطبق عليه قول الكتاب "رابح النفوس حكيم " (أم١١: ٣٠). وفى حكمة خدمته نراه خبيراً بالنفس البشريه: بطبيعتها ونزعاتها، وحروبها وسقطاتها، ومتاعبها وآلامها وهو فى كل ذلك يذكر قول القديس بولس الرسول " اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم ، واذكروا المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد " (عب١٣: ٣) .

الخادم الروحى هو لهيب نار مشتعل فى خدمته :

إنه انسان حار فى الروح (رو ١٢ : ١١) دخلت فيه النار المقدسة التى الهبت التلاميذ فى يوم البندكسطى . لهذا فهو يعمل عمل الرب بحرارة ، بكل القلب ، بكل الرغبة ، بكل حماس .. هو أمين فى خدمته حتى الموت (رؤ ٢ : ١٠) يتعب فيها ، ويجد لذة فى تعبه .

ويجد لذة أيضاً فى عمله مع الله :

الروح القدس يعمل فى الناس لأجل خلاصهم. وهو يعمل مع الروح القدس لهذا الغرض نفسه، كما قال القديس بولس الرسول

عن نفسه وعن زميله بولس " نحن عـاملان مـع اللـه " (١كو٣: ٩) نشترك معه فى العمل ، أو نصبح أداة فى يديه يعمل بها ...

الخادم الروحى يحتفظ بطفولته الروحيه (مت١٨: ٣) ويرفض أن يفطم نفسه عن ثدى التعليم :

إنه باستمرار يقرأ ويتعلم . ومهما نما تلاميذه ، يقدم لهم شيئاً جديداً . إنه كالأشجار الدائمة الخضرة ، لا يذبل أبداً ، ولا يصفّر ، ولا تتساقط أوراقه ... الخضرة دائماً تجرى فى عروقه . لذلك هو دائم الزهر أو الثمر ، دائم الحياة ، دائم النضرة والخضرة ..

✪ إنـه لا يعطـى من ذاتـه ، وإنمـا مـا يـأخذ مـن الـروح فإيـاه يعطى. يقول للرب .

الكلام الذى أعطيتنى ، قد أعطيتهم (يو ١٧ : ٨)

إنه راكع دائماً ، يطلب لأولاده من الرب غذاء يوم بيوم . يقـول للرب دائماً " لست أريد أن أعطيهم مـن بشريتى ومـن جهلـى . بل الكلام الذى تضعه أنت فى فمى ، هو الذى أقوله لهم .

إنه أذن حساسة لفم الله :

يميز صوت الله ، ويعلـن مشيئته للنـاس . لذلـك ترتبـط خدمتـه بالصلاة .. لأنها ليست عملاً بشرياً .

الخادم الروحى يهتم بالغذاء الروحى لأولاده :

فهو يأخذ غنيماته الصغيرات إلى موارد المياه وإلى المراعى الخضراء ، يرعاها بين السوسن (نش ٦ : ٣) . إنه يهتم بروحياتها ، ولايقتصر على المعلومات يحشو بها عقلها . ولكن ليس معنى هذا أن نهمل المعرفة ، وإنما نأخذ منها ما يبنى الروح، ولا نركز على بناء العقل فقط .

الخادم الروحى : حتى إن تكلم فى موضوع لاهوتى أو عقيدى أو طقسى ، يتكلم كلاماً روحياً :

أما الخادم العقلانى: فحتى إن تكلم فى الروحيات، يحولها إلى علم ونظريات وأفكار!! بعض الخدام إبتدأوا بالروح، وإنتهوا كعلماء يقدمون علماً للنفس، مجرد أفكار مرتبة خالية من الروح، ولم تعد فى كلماتهم المسحة الروحية التى تؤثر فى الناس وتقربهم إلى الله..

كونوا إذن خداماً روحيين ، واخدموا خدمة روحية

أقول هذا لأنى خائف على هذا الجيل ، الذى كثرت فيه المعرفة جداً ، وضعفت الروح .

واختلفت عن الجيل الماضى ، التى كانت فيه مراكز الخدمة كأبراج الحمام ، تهدل بنشيد الحب الإلهى .

٦- الخادم الروحى قدوة وبركة وحياته كلها خدمة..

إن الخدمة ليست كلاماً ، إنما هى " روح وحياة " (يو٦: ٦٣) والخادم الروحى له الروح التى يحولها فى تلاميذه إلى حياة ... هذه الحياة يلتقطونها منه ، يتعلمون من حياته ، ويقلدون شخصيته، فتتخلل نفوسهم وقلوبهم وأفكارهم .

إن الصغار قد لايفهمون كل الكلام الذى يقوله الخادم. وما يفهمونه، كثيراً ماينسونه. لكنهم يأخذون منه الحياة. ويتعلمون من طريقة معاملته، وطريقة كلامه، بل يتعلمون من اسلوبه، من نظراته، من اشاراته، من تصرفاته.. يلتقطون كل ذلك.. المعلومات قد ينسونها. ولكن أسلوب الحياة يظل راسخاً فيهم. فإن كان كل ما تملكه هو المعلومات، سوف لا يأخذون منك سوى معلومات، بلا روح بلا حياة..! فابحث إذن ما هو نوع الحياة التى فيك، التى يمكن أن يمتصها منك أولادك؟ والتى تترك فيهم إنطباعاً من نوع خاص.

أخشى أن بعض الخدام تكون فى حياتهم عثرات . وهذه العثرات تؤثر فى تلاميذه تأثيراً سلبياً

" وويل لمن تأتى من قبله العثرات ، كما قال الرب (مت١٨: ٧) هذه العثرات إما أن يقلدها المخدومون ، فتضيع روحياتهم ، وتهبط مثالياتهم ، ويطالب الخادم بدمهم أمام الله (خر٣: ٣٣) .

وأما أن تكون أخطاء الخادم سبباً فى إنتقادهم له ، بل أيضاً وقوعهم فى خطية الإدانه . أو قد تكون تلك الأخطاء سبباً فى تركهم محيط هذه الخدمة كلها ، ومايتبع ذلك من نتائج ....

الخادم هوملح للأرض . فماذا يحدث إن فسد الملح ؟!

ما أصعب قول الرب فى ذلك!! يقول: " إن فسد الملح، لا يصلح بعد لشئ ، إلاأن يطرح خارجاً ويداس من الناس " (مت٥: ١٣) .. إذن يجب أن تلوم نفسك وتقول :

" أننى حينما كنت بعيداً عن الخدمة ، كانت خطاياى ونقائصى من نصيبى أنا وحدى.. وتأثيرها واقعاً علىّ وحدى ، وكذلك عقوبتها. أما الآن فإن خطاياى تعثر الآخرين، وتوقعهم فى خطايا وتضيعهم... فإن لم يمن من أجل نفسى فعلى الأقل من أجلهم أقدس أنا ذاتى ، لكى يكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق (يو١٧: ١٩) .

من هنا ينبغى على كل خادم أن يفحص نفسه ، ويصلح ذاته، ويكون بلا عثرة . بل ينبغى أن يكون قدوة ومثالاً .

بعكس الخادم الروحى الذى تترك حياته فى نفس كل من يقابله اثراً طيباً وإنطباعاً روحياً يدوم لمدة طويلة ...

دون أن يلقى عظة أو يتحدث فى موضوع روحى ... بل مجرد مقابلته البشوشة الحلوة الطيبة ، وملامحه الهادئة المملوءة سلاماً ، ووداعته وطيبته وحسن لقائه للآخرين وحسن معاملته ، هذا يجعل من يقابله يتأثر روحياً ، ويقول فى نفسه : مباركة تلك اللحظات التى تقابلت فيها مع فلان . عجيب هذا الشخص الروحى . ليتنى أكون مثله فى شخصيته الروحيه ، وفى بشاشته ومعاملته الطيبة التى تبكتنى على خطاياى ، وتذكرنى بإنى فى أحيان كثيرة كنت أقابل البعض بعدم إكتراث ، أو بغير حماس ، بدون ودّ وبدون بشاشة . ليتنى أغير حياتى وأصير مثله ودوداً بشوشاً وديعاً ...

وهكذا مجرد اللقاء به يقود الآخرين إلى التوبة .

لذلك فالخادم الروحى ليس مجرد مدرس ، بل حياته كلها خدمة :

إن عبارة [مدرس فى مدارس الأحد] تعنى قصوراً فى أمرين :

أ - فكلمة مدرس تعنى مجرد التعليم، وليس الحياة وتأثيرها..

ب - وعبارة (فى مدارس الأحد) تعنى محدودية الخدمة فى هذا النطاق ، بينما ينبغى أن يكون الخادم خادماً فى كل مجال يقابله فلا يحدها مكان هو الكنيسة ، ولا زمان هو ساعة فى الأسبوع !!

إن كانت الخدمة هى عمل من أعمال المحبة ، فلا يجوز أن تكون محبتنا قاصرة على فصل من فصول مدارس الأحد ... !!

فالإنسان المحب أينما يوجد ، تفيض محبته على غيره . كل إنسان يقابله ، ينال نصيباً من حبه . إنه كسيده " يريد أن الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون " (١تى٢: ٤) ...

حقاً إن مدارس الأحد قد تكون مجال تخصصه . ولكن هذا لا يمنع عمومية خدمته . فكل شخص يدفعه الله إلى طريقه ، وكل من يقابله فى غربة هذا العمل ، لابد أن يدخل فى مجال تأثيره الروحى. ليس كمدرس ، وإنما كحياة روحية تتحرك فى عمق ، وتؤثر روحياً فى غيرها ، تلقائياً ... وإن أتيح له الكلام ، لإغنه يجعل الله هو محور حديثه ، بطريقة مشوقة غير مصطنعة ...

ويكون اسم الرب حلواً فى فم الخادم . يجب أن يتحدث عنه ، بطريقة تجذب الناس إليه ...

إن اسم الله على فمه ، ليس فى الكنيسة فقط ، بل فى كل مكان. يحدث الناس عنه فى شغف . وينتهز كل فرصة مناسبه ، ليحكى قصصاً عن معاملات الله المملوءة حباً وحكمة ... وحتى إن لم يتكلم، فإنه يقدم للناس نموذجاً طيباً عن الحياة المرتبطة بالله ...

بعض الناس يظنون المبادئ المسيحية مثاليات من يستطيع تنفيذها ؟! أما الخادم الروحى ، فيقدم هذه المثاليات منفذة عملياً فى حياته ...

وبتأمل حياته ، يتيقن الناس أن الحياة مع الله ممكنة وسهلة ... ويرون أن الذى يسير مع الله ، تكون حياته موفقة وناجحة ، ويكون محبوباً من الكل ، فيشتاقون إلى حياة مثل حياته ، التى تجول تصنع خيراً : تعطى هذا كلمة منفعة ، وتعطى ذاك حباً وبشاشة . وتعطى ثالثاً أمثولة طيبة .. المهم أنها تعطى بإستمرار خيراً ونفعاً ...

إنه كالشمس ، أينما ظهرت تنير :

هى منيرة بطبيعتها . وبحكم طبيعتها تعطى نوراً وحرارة وحياة، للكل .. والخدام الروحيون هكذا بالنسبة إلى الآخرين ، هم نور للعالم (مت٥: ١٤) . كل إنسان يراهم ، يستنير ولا يسلك فى

الظلمة ... فهل أنت نور فى حياتك ، وبالتالى فى خدمتك ؟

هل كل من يراك ، يمجد الله بسببك ؟ وكل من يتحدث معك ، يخرج بكلمة منفعة ؟ وكل من يجتمع بك ، يشكر الله على إنه جلس معك فى ذلك اليوم ، وعلى النعمةالتى حلت عليه عن طريقك؟

الخادم الروحي بركة للوسط الذى يعيش فيه :

انظر ماذا قال الرب فى دعوته لإبرام إلى الآباء : قال له "اجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة " (تك١٢: ٢) . فالمطلوب من الخادم الروحى ، ليس فقط أن يكون مباركاً من الرب، بل بالأكثر يكون بركة .

كان إيليا بركة فى بيت أرملة صرفة صيدا . وكان يوسف الصديق بركة فى كل أرض مصر .

وكان أبونا نوح بركة للعالم كله . به حفظت الحياة فى العالم:

ولم يفن الرب الأرض كلها ومن عليها ، من أجل نوح البار . به بقيت الحياة البشرية ، وتنسم الله رائحة الرضا (تك٨: ٢١) .

وأصبحنا كلنا أولاد نوح ، كما نحن أولاد آدم ...

فهل أنت هكذا : أينما حللت تحل البركة ؟

وتكون خدمتك بركة للناس فى كل مكان تخدم فيه . ويبارك الله

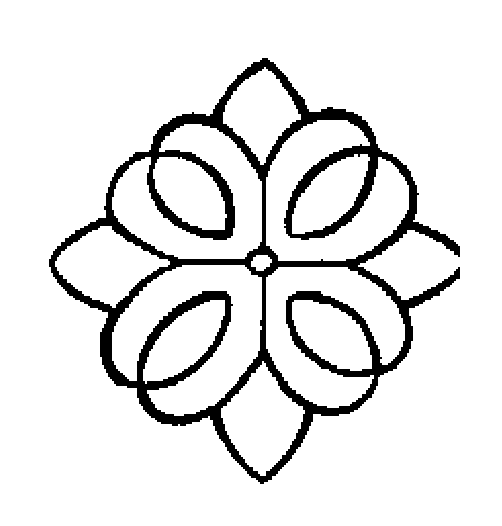
خدمتك ، ويجعلها مثمرة وذات تأثير . ويبارك أيضاً كل من تخدمهم ، ويشعرون أنك كنت بركة فى حياتهم ، وأنه من نعم الله عليهم ، أنك كنت الخادم الذى قام برعايتهم ؟

الخادم الروحى يشعر من يخدمهم أنه رجل الله .

فهكذا كان إيليا، وبهذا اللقب كانوا يدعونه (١مل١٧: ٢٤) فهل يراك الناس بهذه الصورة ، انك صوت الله فى آذانهم ، وانك مرسل منه إليهم ، وإنك صورة الله أمامهم ؟

يذكرهم وجودك معهم بالله ووصاياه وبقدسية الحياة ..

وهل - كرجل الله - يرون فيك ثمار الروح (غل٥: ٢٢،٢٣)؟ ويرون تأثير الروح فى كلماتك ، ويختبرون أنك بركة لحياتهم ... **لا تظن أنك بمجرد إلقائك بعض الدروس فى الكنيسة ، قد صرت خادماً . بل تفهم ما معنى كلمة (خادم) وما صفاته .**



٧- الخادم الروحي الذى يعمل الله به

إن الله يعمل بإستمرار من أجل خلاص البشر وهدايتهم ..وهو يعمل من خلال خدامه الروحيين وبواسطتهم .فمن هو الخادم الروحى الذى يعمل الله فيه وبه، ويعمل الله معه؟

إنه الخادم الذى يهتم جداً بأبديته، ولا ينسى نفسه فى محيط الخدمة.

ولا تصبح الخدمة بالنسبه إليه هى كل شىء، وفى سبيلها يضحى حتى بروحياته!

والكتاب يعلمنا أهمية وضع خلاص النفس أولاً، فى قول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف "لاحظ نفسك والتعليم، وداوم على ذلك .فإنك إن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً (اتى ٤: ١٦) .

وهكذا وضع ملاحظة النفس قبل التعليم ، وخلاص نفسك قبل الذين يسمعونك.

وهذا واضح لأن الخادم المهتم بخلاصه هو الذى يستطيع أن يخلص الآخرين أيضاً.

والعكس صحيح. لان الخادم الذى لا يهتم بروحياته. لا يمكن أن يقدم الروحيات لغيره، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. كما أن الخدمه هى تعبير عن الحب الذى فيك نحو الله والآخرين والذى يفقد هذا الحب، لا يكون خادماً. وهناك عباره اخرى مخيفة نضعها امامنا فى خدمتنا و هى قول القديس بولس الرسول أيضاً :

" أخضع جسدى واستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (اكو ٩: ٢٧) .

عجباً هذا القديس العظيم الذى صعد إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٤،٢) والذى تعب أكثر من جميع الرسل (اكو ١٥: ١٠) وصنع آيات وقوات وعجائب يقول لئلا بعد ما كرزت لآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً !! إذن هناك خوف أن إنساناً يكرز للآخرين، ثم يصير هو نفسه مرفوضاً !!

إن الإهتمام بخلاص النفس شيء هام ، وقد دعا إليه الرب فى

رسـائله إلـى رعـاة الكنـائس التـى فـى أسـيا مـا اعجـب قولـه لمـلاك سـاردس :

" إن لك إسماً انك حى وأنت ميت !! "

ويقول أيضـاً " كـن سـاهراً .. وتـب. فـإنى إن لـم تسـهر ، أقـدم عليك كلص، ولا تعرف فى أى ساعة أقدم عليك " (رؤ ٣: ١-٣).

وكذلك يقول لملاك كنيسه لاودكيه " لأنك فاتر ولست بـارداً ولا حاراً، أنا مزمع أن أتقيأك من فمـى " (رؤ ٣: ١٦) ويقـول لمـلاك كنيسة أفسس " عندى عليك انك تركت محبتك الأولى فأذكر من أين سقطت وتب .. وإلا فـإنى آتيـك عـن قريـب وأزحـزح منـارتك مـن مكانها إن لم تتب " (رؤ١: ٤،٥) .

فإن كان الرب قد قال هذا عن الذيـن دعـاهم ملائكـة وكواكـب، وكانوا فى يده اليمنى (رؤ٢: ١) فماذا نقول نحن عن أنفسنا . ألا نهتم بخلاصنا ؟!

أقـول هـذا لئـلا تتملكنـا الكبريـاء فنظـن أننـا حقـاً خـدام. وربمـا يحاربنا المجـد البـاطل، لأن لنـا أولاداً فـى الخدمـة، لنـا تلاميذ ولنـا فصول، ولنا إسم الكنيسة إننا من جماعة الخـدام أو مـن الكـارزين!! والرسول يقـول "حتى بعد مـا كـرزت لأخريـن، لا أصـير أنـا نفسـى مرفوضاً " .

فإن كان بولس العظيم يحتاج إلى تدقيق وإحتراس وإلى أن يضبط نفسه ويقمع جسده ويستعبده .. فكم بالأولى نحترس نحن ونهتم بخلاصنا.

لهذا يحتاج الخادم إلى إتضاع كبير في قلبه ..

لئلا تأخذه الكبرياء، ويظن أنه شيء ويسقط... صدقوني يا إخوتي، إنني أتعجب كثيراً كلما اتأمل قديساً عظيماً مثل بطرس الرسول الذي كان واحداً من الثلاثة الكبار الذين كان ينفرد بهم السيد المسيح في جلساته الخاصة، والذين قال عنهم القديس بولس الرسول أنهم أعمده الكنيسة (غل٢: ٩) ... بطرس هذا يقول له السيد المسيح :

"ولكني طلبت من أجلك لكيلا يفنى إيمانك ؟! " (لو ٢٢:٢٢) .

يفنى إيمانك ؟! ما أخطر هذه العبارة ليتك تقول يارب "لكيلا يضعف إيمانك"! أما أن عبارة يفنى إيمانك تقال لبطرس الرسول، ويحتاج إلى صلاة من السيد المسيح نفسه، فهذا أمر خطير أو هو درس لنا لنسهر ونحترس .

نعم نحترس لأن الخطية قيل عنها إنها " طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء " (ام٧: ٢٦) .

والخادم الروحي يحترس ليس فقط من الخطايا الدقيقة كالهفوات والسهوات، وإنما حتى من النجاسات التى تحارب المبتدئين !! وهو مهما نما فى الروحيات يعامل نفسه كمبتدئ، ولا يتحدث عن نفسه كخادم يدرس البعض على يديه.

إن القديس أرسانيوس الكبير، معلم أولاد الملوك ، رجل الوحدة والصمت والصلاة والدموع، يقول عن نفسه " إننى لم أبدأ بعد، هبنى يارب أن أبدأ .." ليتنا نتمثل بهذا القديس فى خدمتنا.

الخادم الروحى ينظر لنفسه كمبتدئ، ليس فقط فى الخدمة، بل كمبتدئ أيضاً فى الحياه الروحية.

الكلام الذى يقوله فى الدرس يرى إنه موجه إلى نفسه هو، قبل أن يوجه إلى تلاميذه.

وإن وعظ يرى أنه يعظ نفسه والناس. بل يعظ نفسه قبل أن يعظ الناس. إنه لا يظن فى نفسه أنه قد بلغ شيئاً، ولا يظن أن الكلام الذى يقوله قد صار حياة عند سامعيه..

بل يصلى أن يعطيهم الرب نعمة أن يستفيدوا من كلامه، أو يستفيدوا من النعمة التى يعطيهم الرب إياها.

يصلى أن يعطيهم الرب شيئاً عن طريقه ولا أقول يأخذوا منه،

بل يأخذوا عن طريقه ، إنه يخلط درسه بالصلاة لكــى لا يكون هو وحده الذى يتكلم، بل ليتكلم الرب، ويكون هو أيضاً سامعاً مع تلاميذه.

الخادم الروحي لا يحسب نفسه أنه قد صار قديماً فى الخدمة أو قائداً أو أميناً بل يضع أمامه بإستمرار قول السيد المسيح:

" بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو ١٥: ٥).

إذن لابد أن يأخذ من الله، لكى يعطى..

إنه يقول للرب أنا يارب لا أعرف . لقد أخذونى وجعلونى خادماً عن غير إستحقاق ومن غير إعداد. بل جعلونى خادماً وهم لا يعرفون دواخلى ولا ضعفاتى . أنت الذى تعرف. أنا يارب لم أصل بعد إلى القدوة التى أفيد بها آخرين، ولم أنفذ بعد هذه الوصايا التى أقولها للناس أو التى ينبغى أن أقولها وأخشى أن تنطبق علىّ عبارة:

" أيها الطبيب إشف نفسك " (لو ٤: ٢٣) .

الخادم الروحي يلتقى بالله قبل أن يلتقى بالمخدومين. ويقول له: " ليس يارب من أجل ضعفاتى تمنع نعمتك عن هؤلاء. ليس بسبب أخطائى الشخصيه وبعدى عن روحك القدوس. تمنع روحك عن هؤلاء وما ذنبهم؟!

ليس من أجلى تعطيهم . بل من أجل محبتك لهم أعطهم.

من أجل أنك أبوهم. من أجل أنه تهمك أبديتهم. من أجل حاجة هؤلاء الصغار إليك أعطهم عن طريقى، أو عن طريق غيرى، ليس الخادم هو المهم. إنما المهم أن تعطيهم أعمل فى قلوبهم حينما أكلمهم وأعمل فى قلوبهم حتى دون أن أكلمهم.

لتكن خدمتى لهم صلاة إن لم تكن حياة

فليست لى حياة، أعطيهم منها قدوة ،

وليست لى صلاة أعطيهم منها قدرة .

ولكننى فى ضعفى أطلب إليك من أجلهم أطلب أن تعمل أنت فيهم من أجل محبتك لهم..

أنا لست أحسب أن لى معرفة أقدمها لهم. وحتى إن كان لى، فالمعرفة وحدها لا تكفى ولا تخلص. أمنا حواء كانت لها معرفة بالوصية وسقطت (تك ٣: ٢-٦) المهم هو الروح الموجود فى الكلام كما قال السيد الرب " الكلام الذى أقوله لكم هو روح وحياة " (يو٦: ٦٣) .

إن كانت الخدمه كلاماً فما أكثر الكلام.. المهم هو الروح الذى يؤثر ويعطى على قوة العمل.

والكلام لا يخلص، إن كان منا، أما إن كان من الرب، فكلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح " (عب٤: ١٢) .

ووظيفتنا كخدام أن نأخذ من الله كلاماً لكي نعطية للناس وليس أن نعطيهم من فراغنا. إنما نأخذ ملئاً من الله، نفيض به عليهم. وما أجمل قول الإنجيل عن السيد المسيح.

" ومن ملئه، نحن جميعاً أخذنا " (يو١: ١٦) .

الخادم الروحي ليس مجرد بوق يحدث صوتاً إنما هو حياة روحية تنتقل إلى الغير. والتلاميذ يأخذون من حياة المدرس من إسلوبه ومعاملاته وسلوكه، ويمتصون منه شيئاً .

كان الكتبة والفريسيون يعلّمون وقد جلسوا على كرسي موسى (مت٢٣: ٢) وكان السيد المسيح يعلم، فيبهت الناس من تعليمه لأنه يعلمهم بسلطان (مر١: ٢٢) .

كلماته كانت لها قوة وتأثير وسلطان.

كانت كلمات من نوع آخر، لذلك قالوا ما سمعنا من قبل كلاماً مثل هذا.

ولما تكلم السيد المسيح عن التناول من جسده ودمه، وتحير

البعض وتركوه فقال لتلاميذه " ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟!". أجابه بطرس:

"يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية هو عندك"(يو٦: ٦٨)

جميلة هذه العبارة " كلام الحياة الأبدية " هذا هو المطلوب من الخادم. يذكرنا بعبارة الملاك الذى قالها لكرنيليوس عن طريق بولس الرسول " وهو يكلمك كلاماً به تخلص.. " (أع١١: ١٤) .

نعم، هذا هو الفرق بين خادم وخادم: أحدهم يقول كلاماً، بلا تأثر بلا قوة بلا فاعلية...

أما الخادم الروحى فيكلمك كلاماً به تخلص ...

كلاماً يغير الحياة كلها، ويشعر سامعه قد أنه نخس فى قلبه، كما حدث لليهود فى يوم الخمسين حينما سمعوا عظة من بطرس (أع٢: ٣٧).وحينما ينخس فى قلبه لا يستطيع أن يرفس مناخس (أع٩: ٥)

حتى لو قاوم الكلمة حينا، يعود إليها مرة أخرى أو تعود هى إليه. ويجد منخاساً فى قلبه يذكره بها. وهكذا قال الرب عن كلمته:

" هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمي. لا ترجع إلى فارغة. بل تعمل ما سررت به، وتنجح فيما أرسلتها له" (أش٥٥: ١١) .

حقاً إن كلمة الرب لا ترجع فارغة.

إن لم تأت بنتيجة الآن، تأتى بها فيما بعد .

صدقونى، حتى الكلام الذى قاله الرب ليهوذا الإسخريوطى، لم يرجع فارغاً بل ندم يهوذا بعد تسليمه للرب، وأرجع المال الذى أخذه ثمناً له. وقال " أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً" (مت٢٧: ٤) لكن مشكلته إنه يأس من شدة تأنيب ضميره له، فمضى وخنق نفسه..

الخادم الروحى ينبغى أن تكون كلمته هى كلمة الرب. ولكى يأخذ هذه الكلمه من الله يلزمه أن تكون حياته ثابتة فى الله.

تكون له علاقة بالله، يستطيع بها أن يأخذ منه. وتكون له دالة مع الله، يمكنه بها أن يقول له"لا أتركك إن لم تباركنى" (تك٣٢: ٢٦) . أو يقول له"لا أتركك حتى آخذ منك ما أعطيه لهؤلاء.

هذه هى الخدمة الروحية التى يعمل فيها الله. وليست هى مجرد كلمات يقرأها الخادم فى كتاب ثم يرددها بدون تأثير فى آذان غيره وينتهى الأمر.

لقد أمر السيد تلاميذه أن لا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالى (لو٢٤: ٤٩) .

الخدمة الروحية يلزمها هذه القوة ، قوة الله العامل فينا بروحه القدوس.

٨- الخادم الروحى دائماً يعمل والخدمة ضرورة موضوعة عليه

الله دائما يعمل، وعلينا أيضا أن نعمل، وفى ذلك قال السيد المسيح له المجد فى (يو ٥: ١٧) .

" **أبى يعمل حتى الآن وأنا أيضا أعمل**"

وهو بهذا يعطينا القدوة الصالحة فى العمل الدائم المستمر، العمل بلا انقطاع من أجل ملكوت الله. هذا الذى قال عنه القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "اكرز بالكلمة، اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب" (٢ تى ٤: ٢) أى كل حين.

وهكذا كان السيد المسيح يعمل باستمرار:

كان يعمل طول اليوم، حتى يميل النهار كما فى وعظه قبل معجزة الخمس خبزات والسمكتين، إلى أن "ابتدأ النهار يميل" (لو ٩: ١٢)، ثم أخذ يهتم بعد ذلك بطعامهم الجسدانى.

وكان يعمل بالليل، كما تقابل مع نيقوديموس ليلاً (يو ٣: ٢)، وكما جاء إلى التلاميذ فى الهزيع الرابع من الليل (مت ١٤: ٢٥)، او قد يأتى اليهم فى الهزيع الثانى أو الثالث (مت ١٢: ٣٨) أو فى نصف الليل. وأيضاً هو يعمل مادام نهار (يو ٩: ٤)

والسيد المسيح كان يعمل أيضا فى كل مكان:

كان يعمل وهو ماش فى الطريق (لو ١٩: ١-٥) كما فى هداية زكا وكان يعمل وهو جالس عند البئر كما فعل فى هداية المرأة السامرية (يو ٤: ٦-٧). ويعمل وهو فى بستان جثيسمانى مع الثلاثة تلاميذ (مت ٢٦)، ويعمل وهو ماش على الماء كما فعل فى تدريب بطرس وفى انقاذه من الغرق (مت ١٤: ٢٨-٣١) كان يعمل فى البرية ووسط الحقول، وعلى شاطئ النهر وشاطئ البحيرة، وفى البيوت كما فى بيت مرثا ومريم (لو ١٠: ٣٨)، وعلى الجبل كما فى عظته المشهورة (مت ٥: ١،٢)

كان يعمل فى كل وقت ومكان ومع كل أحد .

وكان يلقى بذاره فى كل موضع ..

يلقيها على الأرض الجيدة التى تنتج ثلاثين وستين ومائة، ويلقيها حتى بين الأشواك، وعلى الأرض الحجرية، والتى ليس لها

عمق، وعلى الطريق.. معطياً فرصة لكل أحد.. ويلقى خبزه على وجه المياه ليجده بعد حين (جا ١١: ١) وكما قال الرسول عنه كان يجول يصنع خيراً (أع ١٠: ٣٨) .

حتى وهو على الصليب كان يعمل :

ليس فقط عمل الفداء وهو عمله الأساسى، وانما عمل أيضاً أعمالاً كثيرة، طلب المغفرة للذين صلبوه (لو ٢٣: ٣٤) وعهد بأمه العذراء إلى يوحنا ليهتم بها ومنح يوحنا بركة أمومة العذراء له (يو ١٢: ٢٦،٢٧) ومنح اللص التائب بركة الذهاب إلى الفردوس (لو ٢٣: ٤٣).

بل كان يعمل خيراً فى وقت القبض عليه .

لأنه أثناء ذلك شفى ذلك العبد (ملخس) الذى ضربه بطرس فقطع أذنه (لو٢٢: ٥٠،٥١) وايضا دافع عن تلاميذه فقال للذين قبضوا عليه "دعوا هؤلاء يذهبون" (يو١٨: ٨) ليتم القول الذى قاله "أن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحداً " (يو١٨: ٩).

وفى أثناء ذلك كله وخلال محاكمته، كان يطلب من أجل بطرس لكى لايفنى ايمانه (لو ٢٢: ٣١)

والله كثيراً ما يعمل فى صمت، ودون أن نطلب

الله الذى يحكم للمظلومين، والذى يحفظ الأطفال.. الذى نجى

الفتية من أتون النار (دا ٣) وخلص دانيال من جب الأسود (دا ٦) وأرسل ملاكه لينقذ بطرس من السجن (أع ١٢) وأظهر ليوحنا عجائب فى الرؤيا ماكان يفكر فيها ولايطلبها (رؤ ٤،٥) واختطف بولس إلى السماء الثالثة (٢كو١٢) وما كان يفكر فى هذا ولا طلبه.

وكما يعمل الله باستمرار، ملائكته أيضا تعمل :

هؤلاء الذين قال عنهم داود النبى فى المزمور "يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه" (مز١٠٣: ٢٠). وقال عنهم القديس بولس الرسول " أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب١: ١٤). إنهم يعملون فى البشارة ونقل أوامر الله إلى الناس وتنفيذ أمره سواء بالإنقاذ أو العقوبة.

ويقول الكتاب " ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم " (مز٣٤: ٧)

ونحن البشر يريدنا الله أن نعمل وعملنا على أنواع منه

أولاً : العمل الجوانى

هو عمل داخل النفس : مع النفس، تحاسبها، تؤدبها، وتصلح ما فيها، وعمل آخر داخل النفس مع الله، عمل حب، مناجاة، مشاعر فى ناموسه تلهج النهار والليل. كل هذا عمل جوانى . ولذلك فإن الراهب المنشغل بهذا العمل الجوانى يسمونه (الراهب العمال).

هناك عمل آخر يمكننا القيام به، وهو عمل المصالحة:

وهو عمل روحى، هدفه مصالحه الناس مع الله .. وفى ذلك قال القديس بولس الرسول " وأعاطنا خدمة المصالحة .. نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨، ٢٠) .

عمل فى الخدمة نعمله، ونشترك فيه مع الله.

الله يعمل معنا، ويعمل بنا. وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولس " نحن عاملان مع الله" (اكو٣: ٩). يشترك روح الله القدوس معنا فى العمل، ونصير نحن شركاء الروح القدس، ونقول لله فى الأوشية: اشترك فى العمل مع

عبيدك، فى كل عمل صالح" .

لقد قال الرب لتلميذيه: هلما ورائى فأجعلكما صيادى الناس" (مت٤: ٩).

معنى هذا أننا نسير وراءه فيجعلنا صيادين وكيف؟ نحن نرمى الشبكة، وهو يدعو السمك للدخول فيها. وهكذا يعمل معنا. ولا نقوم بالصيد وحدنا. فإن بطرس لما عمل فى الصيد وحده، بدون المسيح، قال له أخيراً "تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً " (لو٥:٥). نعمل مع الله – والله سيرى عملنا. وسوف يكافئنا عن كل عملنا. أليس هو القائل لكل راع من رعاة الكنائس: " أنا عارف أعمالك" (رؤ٢،٣). و الذى كان له تعب فى الخدمة، قال له الرب " أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك...وقد إحتملت ولك صبر، وتعبت من أجل إسمى ولم تكل" (رؤ٢: ٢،٣).

من أجل هذا يقول الرسول "كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (اكو١٥: ٥٨).

"إن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو إسمه ، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم " (عب٦:

١٠) حتى كأس ماء بارد تسقون به أحد هؤلاء الصغار، لايضيع أجره " (مت١٠: ٤٢) حتى الذى يأتى إلى الرب فى الساعة الحادية عشرة من النهار ليخدم فى كرمه، سيأخذ أجرته كالآخرين.. هناك كلمة خطيرة أذكرها فى وجوب العمل وأهميته، وهى قول الرسول:

" **من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل ، فتلك خطية له** " (يع٤: ١٧).

إذن الخطية ليست فقط فى السلبيات، أى فى عمل الشر. و إنما أيضاً أهمال الإيجابيات، أو عدم عمل الخير هو أيضاً خطية. دفن الوزنة فى التراب خطية (مت٢٥: ٢٤).

قد يعتذر إنسان ويقول: أنا لا أعرف أن أخدم !!

مثل هذا الإنسان يذكرنى بأرميا النبى الذى قال فى طفولته للرب " لا أعرف أن أتكلم ، لأنى ولد " فإنتهره الرب وقال له " لا تقل إنى ولد. لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب .. ويذكرنى أيضاً بموسى النبى الذى قال " لست أنا صاحب كلام.. بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر٤: ١٠). ها أنا أغلف الشفتين " (خر٦: ٣٠) . ولم يقبل الله منه كل هذا الإعتذار عن الخدمة..

إن الله يعرف تماماً مقدار ما أعطاك من قدرات..

يعرف العقل الذى أعطاه لك، ويعرف الوقت الذى منحك إياه، ومقدار المعرفة التى لك، ونوع المواهب، ويعرف الظروف المتاحة لك للخدمة. فكيف يمكنك أن تهرب أو تعتذر ؟! كيف تهرب من قول (الكتاب) من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فتلك خطية له".. والمعروف أن "أجرة الخطية هى موت" (رو٦: ٢٣). إن الله سيحاسبك على كل معرفة وهبك إياها ولم تستخدمها. لأنه هو القائل:

" كل من أعطى كثيراً، يطلب منه كثير" (لو١٢: ٤٨) .

فإن قلت " ليست لى مواهب ". يقول لك: أعمل على قدر مالك من مواهب. على قدر ما أعطيت من وزنات : واحدة أو إثنتين أو خمس (مت٢٥) لكن لا تقف مطلقاً فى ملكوت الله خاملاً بلا عمل!! إذن لماذا خلقك الله وأوجدك؟! و لماذا جعلك عضواً فى جسده ؟! هل يوجد عضو بلا عمل ؟! إذن لابد أن تعمل، مهما كانت مواهبك محدودة فإن كنت أميناً فى هذه المواهب المحدودة، يقول لك:

" كنت أميناً فى القليل، سأقيمك على الكثير" (مت٢٥: ٢١).

وسيقول لك أيضاً " أدخل إلى فرح سيدك . الله لا يهمه القليل

أو الكثير، إنما يهمه أن تكـون أميناً فيما عندك. تعمل فـى خدمته على قدر طاقتك.. لكن لابد أن تعمل. وهو يكمل.. تقول لـه:" ليس عندى سوى دقائق معدوده فـى اليوم يقول لـك: إعمل عملـى فيها بأمانه. وسأباركها وأجعلها تثمر.. تقول له: ليس معى سوى خمس حصوات فـى حربـى مع جليات !! يقول لـك تكفينـى منها حصاه واحدة ضعها فى مقلاعك، وأنا سأجعلها تصـل إلـى رأس الجبار .. والباقى أحتفظ به لأى جليات آخر يقابلك فى المستقبل..

هنا ونتكلم عن صفات العمل الذى يعمله الخادم الروحى:

أولاً : يجب أن يتصف بالأمانة لأن الرب يقول " تـرى من هو الوكيل الأمين الحكيم، الذى يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعـامهم فى حينه" (لو١٢: ٤٢). وإن سألت عن حدود هذه الأمانة، يقول

" كن أميناً إلى الموت، فأعطيك إكليل الحياة " (رؤ٢: ١٠)..

إلى الموت، إلى حد بذل الذات، إلى حد الإستشهاد . تكون أمينـاً فى نوعية العمل، و فى كميته، أميناً من جهة الموضوع، ومن جهـة الأشخاص مهما كلفتك تلك الأمانة من جهد، ومن ثمن وأيضاً.

٢- ولذلك تعمل عمل الرب بلا رخـاوة، بـلا كسل لأن الكتـاب يقول:

" ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة" (أر٤٨: ١٠)

أعمل بكل حماس، وأستخدم الإمكانيات التى عندك مهما كانت قليلة .. وتذكر أن الله إشتغل بإمكانيات بشرية كانت قليلة أيضاً "إختار جهال العالم، وضعفاء العالم، والمزدرى وغير الموجود" (اكو١: ٢٧،٢٨) وإستطاع بها أن يخزى الحكماء والأقوياء. إعمل إذن، والله سيعمل فيك ومعك.. أن حصاة داود التى هزمت سيف ورمح جليات، تذكرنا باولئك الصيادين الذين وقفوا ضد فلاسفة العالم، وقادة الرومان، وشيوخ اليهود، وكل الكتبة دارسى الناموس. المهم أن تعمل، وتستخدم كل إمكانياتك مهما بدت أمامك ضعيفة. وثق أن الله سيعمل بها .

٣- أخدم بروحك وقلبك . ليس كمجرد رسميات .

ليس كمجرد واجب عهدت به إليك الكنيسة . بل ضع كل قلبك فى الخدمة . متذكراً قول الرب " يا ابنى أعطنى قلبك" (أم ٢٣: ٢٦) . وهكذا بكل مشاعرك تحب الخدمة. وتحب المخدومين، تحب الملكوت. وقبل الكل تحب الله الذى تخدمه .

٤ - ولتكن خدمتك بأسلوب روحى .

لأن كثيرين أخذوا مسئوليات ضخمة فى الكنيسة . وفشلوا لأنهم

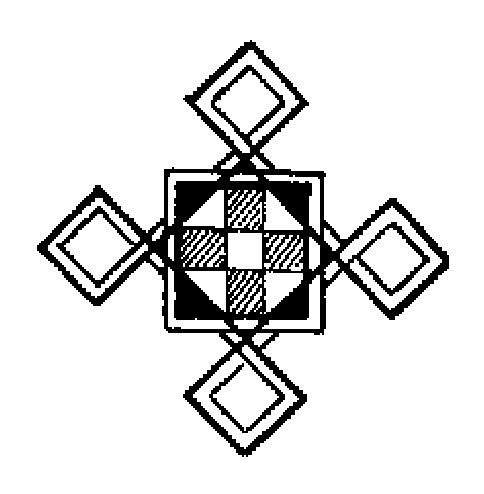
لم يسلكوا فى خدمتهم باسلوب روحى . وإنما سلكوا باسلوب إدارى. أو اجتماعى أو عقلانى. وتحولت الخدمة عندهم إلى مجرد أنشطة .

وتحولت الدروس إلى مجرد معلومات ..

أما أنت . فلتكن خدمتك بعيدة عن الذات . تقول فيها مع المرتل فى المزمور :

" ليس لنا يارب ليس لنا . لكن لإسمك القدوس إعط مجداً " (مز١١٥: ١) .

٦ – ولتكن خدمتك مملوءة بالرجاء مهما تأخر الثمر، ومهما قامت عقبات ... لا تفشل إطلاقاً. ولا تيأس . بل إلق خبزك على وجه المياه. فإنك تجده بعد أيام كثيرة " (جا ١١: ١) .



فهرست الكتاب

